

د. محمد بن إبراهيم بن صالح الحسين أبا الخيل

في تاريخ

أبا الخيل

في تاريخ أبا الخيل

تأليف

د. محمد بن إبراهيم بن صالح الحسين أبا الخيل

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين ٠٠٠ أما بعد :

قبل عشرين سنة مضت استدعاني العم معالي الشيخ الوزير محمد بن علي أبا الخيل ، وقد كنت أيامها في الرياض أدرس السنة التمهيدية للماجستير في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، وقد جلست معه في بيته العامر بالملز ، وكان بحضور صهرنا ابن العم الأستاذ عبد العزيز العلي أبا الخيل ، وكان ذلك في ضحوة الخميس (حوالي الساعة العاشرة صباحاً) ١٢ من ربيع الثاني سنة ١٤٠٥ هـ . وفي تلك الجلسة اذكر أن معاليه بدأ بالحديث عن التاريخ وأهميته في ماضي الأمم وحاضرها ومستقبلها ، ثم ذكر أنه يقرأ في التاريخ ويستمتع بقراءته ، وقد شعرت لحظتها أنه في حديثه ذلك يريد تشجيعي في التخصص الذي توجهت إليه . ثم أخذ بعد ذلك يتحدث عن والدي رحمه الله حديث المعجب بحفظه للقصص والتاريخ ، وخاصة تاريخ أبا الخيل ، وأنه حري بي أن أقوم بتسجيل ما يمكن تسجيله منه ومن غيره أيضاً . وحين وقفت مودعاً لمعاليه استوقفني قليلاً ، ودخل غرفة مجاورة وخرج يحمل بنفسه ربطة مجلدات ، وقدمها لي قائلاً : خذ هذه الكتب ، فنظرت إليها فإذا هي

كتاب « دليل الخليج » لمؤلفه لوريمر ، بمجلداته الأربعة عشر ؛ القسم التاريخي ، والقسم الجغرافي ، فكانت هدية لا تقدر بثمن ، لأنها أولاً من معاليه ، وثانياً لأنني صرت اقتنى كتاباً قيماً ومهماً قل أن يتوفر لأحد في ذلك الوقت ، وهو الآن في مكتبي من أغلى الكتب عندي .

لقد أخذت بنصيحة معاليه ، وطفقت أجمع ما يمكن جمعه من وثائق الأسرة ، وكذلك تاريخها وبخاصة ما لم يدون منه رغم أن تخصصي بعيد عن التاريخ الحديث والمعاصر ، فأنا متخصص في تاريخ القرون الأولى من التاريخ الإسلامي ، وقد مرت السنون ، وانشغلت بإعداد رسالة الماجستير ، ثم بإعداد رسالة الدكتوراه ، وكنت طوال تلك المدة غير غافل عن جمع ما يفيد في تاريخ الأسرة ، فلما وجدت أن ما لدي من مادة علمية مسجلة ووثائق ومصادر ومراجع تؤهلني للكتابة استعنت بالله وشرعت بصياغة ما يتاح للنشر من تلك المادة العلمية . وقد ابتدأت بالحديث عن نسب أسرة أبا الخيل وأصل تسميتهم بهذا الاسم . ثم وقفت عند أجداد أبا الخيل في القصيم معتمداً فقط على ما وصلني من وثائق ، معرضاً عن الرواية الشفوية . وبعدها كتبت عن صالح الحسين جد فرع أبا الخيل الذي انتمي إليه ، وقد ساعدني في الكتابة عنه بقاء أحد دفاتره لدينا ، إذ فيه تدوين لجانب من تجارته التي كان يزاولها ، وشيء من سندات حقوقه على الناس ، فضلاً عما وجدته من وثائق أخرى ،

وما روي عن حياته من أخبار . وبعد ذلك وقفت عند أبنائه ،
فعرفت بثلاثة منهم جميعاً في حلقة واحدة ، وهم : حسين وعبد الله
ومحمد ، أما رابعهم وهو مهنا فقد خصصت له ترجمة مطولة ، ثم
كتبت ما تيسر عن ابنه حسن المهنا ، ثم عن ابنه صالح الحسن .
وبعد ذلك كتبت عن حفيد صالح الحسين : الشيخ عبد الله الحسين
الصالح ، ثم عن ابنه الشيخ محمد . وأخيراً كتبت عن والدي
إبراهيم ، ولا يخفى أن في ذرية صالح الحسين كثيرين يمكن أن يكتب
عنه ، ولكني اختياري لهؤلاء قد جرى حسبما توافر لدي من
معلومات ، فضلاً عما لبعضهم من مكانة في التاريخ أو في بلدهم أو
بين الأسرة . ونظراً لعدم شمول هذا المؤلف لعموم تاريخ أبا الخيل ،
دع عنك اقتصار المترجم لهم على صالح الحسين وأفراد من ذريته
فقد عنونت له بـ (في تاريخ أبا الخيل) .

وفي الأخير أود التأكيد على أن استفادتي كانت كبيرة من
والدي رحمه الله في كثير من المواضع في هذا الكتاب ، كما استفدت
من العم الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الله الحسين أبا الخيل حفظه
الله ، وكذلك من العم حسن بن سليمان الحسن المهنا أبا الخيل
حفظه الله . أسأل الله أن يكون في هذا المؤلف فائدة لقارئه ، كما
أسأله سبحانه أن يزيد من الترابط بين الأسرة ، وأن يجمع أفرادها
على المحبة والخير ، إنه جواد كريم . حرر في مغرب الأحد الموافق
١٣ / ٧ / ١٤٢٥ هـ .

أبا الخيل (التسمية والأصل)

يذكر الرواة أن طائفة من قبيلة عنزة المعروفة كانت تقطن القصيم وبعض الأراضي الواقعة غربها كعقلة الصقور ودخنة وغيرها ، وكان أحد رجالها واسمه (حمد بن) نجيد^(١) بن يعيش من بطن المصاليخ قد استوطن في بلدة النبهانية ، فبنى قصراً ، وحفر بئراً ، وانشأ مزرعة . وقد كان له من الأولاد ستة أكبرهم محمد . ويبدو أن قبيلة عنزة - وفيهم المصاليخ الذي ينتمي إليهم نجيد - أجبرتها الظروف على النزوح نحو الشمال ، فتركت منطقة القصيم وما حولها . وهنا بقي حمد بن نجيد في قصره ومزرعته في النبهانية ، فامتدت قبيلة حرب المعروفة من الحجاز إلى منطقة القصيم ، فصارت جماعات من هذه القبيلة تؤذيه وتعتدي على ملكه وأمواله ، بل أخذوا عليه ما يسمى بـ (الخاوة) . وفي إحدى السنوات ظهر الدبا (الجراد) في نجد ، فسمع حمد بن نجيد كغيره من الناس بأن الدبا قدم من الشمال ، فخرج ذات صباح هو وأولاده الستة إلى الوادي القريب من مزرعتهم ليقوموا بحفر حفر وخنادق صغيرة للحيلولة دون وصول الدبا إليهم كما هي عادة المزارعين في مثل هذه الحالة . بيد أنه عاد هو وأولاده في آخر النهار وقد تضايقوا ، لأنهم لم يعملوا شيئاً يذكر من الحفر لصلابة أرض الوادي ، فلما وصلوا إلى قصرهم

(١) ذكر هذا النسب الشيخ عبد الله البسام : علماء نجد ، ج ٤ ، ص ٣٧٠ .

وجدوا في فنائه آثار ناقة من أبلهم مذبوحة ، فسأل حمد بن نجيد خادماً القصر عن ذلك ، فخبّره أن أربعة من البدو أخذوا واحدة من الإبل وذبحوها وألزموه أن يأخذ منها لحماً ويعطيه أهل البيت ليصنعوا لهم عشاءً منه ، وأنه نفذ ما طلبوا منه . فبدأ الغضب على حمد بن نجيد فسأل الخادم عن أولئك البدو أين ذهبوا ؟ فخبّره أنهم في المجلس ينتظرون العشاء . ثم قال له : (عساك ما قهويتهم ؟) ، فرد عليه : لا . فعند ذلك دخل عليهم وتظاهر بالترحيب بهم ، وكان يردد : الله يحبيكم ، الله يحبيكم ، الله يحبيكم . ثم قال : أشغلنا الدبا ولا حصل نأتي لكم بقهوة . فقال أحدهم : نحن والدبا فرقين (أي قسمين) ، و الكل منا ما يصير معذور . ثم اعتذر إليهم بأنه لا يملك قهوة الآن . فلما نضج الطعام قال لأبنائه : تريدون أن نقتلهم قبل العشاء أو عند تقديمه إليهم ، فقالوا : بل نقتلهم عند تقديمه إليهم . فوضع الطعام بين أيديهم ، وبينما كان هؤلاء البدو ينتظرون الإذن لهم بالأكل جرد الأبناء سيوفهم وسلطوها على رؤوس هؤلاء المعتدين وقتلوهم عن آخرهم ، ثم ألقوهم في البئر الذي سُمي فيما بعد بـ (خنيزان) لشدة ننته من رائحة جثثهم . وفي الليلة نفسها أمر حمد أبناءه وأهله بحمل أمتعتهم وأموالهم والرحيل عن مسكنه في النبهانية ، ثم ساروا وتوجهوا نحو عنيزة ، ونزلوا بها . ومن الغد رأى الابن الأكبر محمد أن يذهب إلى قصرهم ومزرعتهم ليرى حالها بعد رحيلهم عنها ، وفي الصباح وقف عند الزرع فإذا بجبل حرب قد

سرحت عليه ، فخاف منهم واختفى بالزرع ، حيث توقع أنهم علموا بقتل إخوانهم . وبينما هو كذلك إذ اقتربت فرس منه ، وصارت تأكل من الزرع التي فوق رأسه ، فقفز عليها وركبها وسار بها مسرعاً إلى عنيزة ، فلحقت بها بنتين لها ، أحدهما دون العساف والأخرى صغيرة ذات ثلاثة أو أربعة أشهر ، ثم لحق بها الباقي ، ودخل عنيزة ومعه هذه الخيل ، فلقبه أهلها بـ (أبا الخيل)^(١) . أذن فمحمد بن حمد بن نجيد بن يعيش هو أبو الخيل . أما باقي إخوته فهم الذين صاروا أجداد الأسر التالية : الرميح ، والصقير ، والقرعاوي ، والزبن ، والنجدي .

(١) نلفت النظر إلى أن هناك عدة روايات في قصة حمد بن نجيد مع أولئك البدو ، فبعضهم قال إن عدد البدو الذين اعتدوا على حماه كان عددهم ستين رجلاً بينما ذكرنا في المتن أنهم كانوا فقط أربعة ، وقال آخر أن خبر هؤلاء البدو بلغ حمد بن نجيد عن طريق زوجته التي ذهبت إليه وهو يكافح الدبا ، وقال ثالث إن عدد أولاده كانوا سبعة وليسوا ستة ، كما قال رابع إن ابنه محمد بن حمد عاد إلى مزرعتهم في النبهانية من عنيزة بعد أسبوع من قصتهم مع أولئك البدو وليس كما قلنا في المتن اليوم التالي . ونحن نؤكد هنا أن القصة متداولة بين الناس في روايات عديدة ، ولا نملك رواية مكتوبة في زمن الحادثة أو قريب منها يمكن أن نعتمدها ، وما دام أن القصة في أصلها متفق عليها فلا غرابة أن يختلف في التفاصيل بسبب بعد العهد بوقوعها . وما كتبناه جاء بعد سماع عدد من الرواة يتحدثون عن القصة ، فلم نورد إلا ما رأيناه معقولاً من أحداث تلك القصة ، فضلاً عما يفي بالتعريف بأصل التسمية بـ (أبا الخيل) .

وجدير بالذكر أن نزوح محمد بن حمد بن فحيد من النبهانية إلى
عنيزة حدث - كما يقدر الرواة - في القرن العاشر الهجري (ما بين
٩٠١ - ١٠٠٠ هـ) ، ومن عنيزة نزح بعضهم إلى بريدة وغيرها^(١) .

(١) البسام : علماء نجد خلال ثمانية قرون ، ج ٤ ، ص ٣٧١ ؛ القاضي : روضة
الناظرين ، ج ١ ، ص ٣٣١ .

أبا الخيل في القصيم

سبق أن عرفنا أن الجد الأعلى لأسرة أبا الخيل نزح من النبهانية إلى عنيزة في حدود القرن العاشر الهجري ، وقد اكتسب هذه اللقب بعد حلوله عنيزة ، وفي إحدى الوثائق المؤرخة سنة ١١٤٩ هـ (أي قبل قيام الدولة السعودية الأولى) جاء رسم هذا اللقب هكذا (أبا الخيل) بالباء الممدودة مما يعني أنه كان يلفظ وأيضاً يكتب منذ ذلك الوقت وقبله كما يلفظ الآن ويكتب ، ف (أبا) منصوب على الحكاية - كما يقال -

ومما يجدر التنبيه عليه أن هناك أسرة تحمل نفس اللقب (أبا الخيل) لا تمت بصلة مطلقاً لأسرة أبا الخيل القصيم هؤلاء ، وهم أبا الخيل الذين يتسبب إليهم سظام أبا الخيل أحد الذين دخلوا مع الملك عبد العزيز الرياض عام ١٣١٩ هـ ، فهؤلاء الآخرون يرجعون في نسبهم إلى قبيلة مطير المعروفة ، بينما الأولون - كما علمنا من قبل - يرجعون في نسبهم إلى قبيلة عنزة المشهورة .

ولقد توافرت لدينا عدد من الوثائق (وصايا ومبايعات ونحوها) عُمرُ بعضها في حدود مائة وثمانين عاماً وبعضها الآخر يزيد عن ذلك ، وبدراستها تحدد لنا أربعة من أجداد أبا الخيل المعروفين في القصيم ؛ أولهم جد أبا الخيل في بريدة صالح الحسين (كان حياً عام ١٢٦٣ هـ) ، والثاني جد أبا الخيل في عنيزة الشيخ

محمد بن إبراهيم المتوفى فيما بين عام ١١٦٥ هـ وعام ١١٧٥ هـ ،
والثالث جد أبا الخيل في (الخب) خب ثنيان (عزارين) حمد بن
عبد الله (كان حياً - حسب وصيته - عام ١٢٤٤ هـ) ، والرابع جد
أبا الخيل في القرعاء عثمان الحسين والذي يقدر - حسب وصية
حفيدة عثمان العلي - أنه عاش في النصف الثاني من القرن الثاني
عشر الهجري (١١٥٠ هـ - ١٢٠٠ هـ) .

يلتقي نسب أبا الخيل بريدة من ذرية صالح الحسين مع
أبا الخيل عنيزة في الجد الأعلى إبراهيم بن عبد الله . قال الشيخ عبد
الله البسام^(١) في ترجمته للشيخ محمد بن عبد الله الحسين أبا الخيل
« يجتمع نسب الشيخ المترجم مع آل أبا الخيل أهل مدينة عنيزة في
جده الأعلى إبراهيم ، فهو من ذرية عبد الله بن إبراهيم . وسكان
عنيزة هم أبناء محمد بن إبراهيم أبا الخيل » . فأبا الخيل عنيزة - إذن -
من ذرية محمد بن إبراهيم بن عبد الله ، بينما أبا الخيل بريدة (ذرية
صالح الحسين) من نسل أخيه عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله .
ونود أن نلفت النظر هنا إلى أن للراوية المعروف عبد العزيز الصقير
نبذة في وريقات عن أصل أبا الخيل وتحركاتهم في القصيم كتبت عنه
في بيروت سنة ١٣٨٨ هـ ، وقد أشار فيها إلى أن حسين الصالح ،
والد صالح الحسين كان قد سكن القرعا ، ثم سكن بريدة ، وصار

(١) علماء نجد ، ج ٦ ، ص ١٤٣ . وانظر القاضي : روضة الناظرين ، ج ٢ ، ص ١٧٧
، ٢٨٩ .

زعيم أبا الخيل في بريدة ، كما أن علي العثمان الحسين نزع من
القرعا ، وصار زعيم أبا الخيل في خب ثنيان . فهل يعني أن جدهما
واحد ؟ .

ويلاحظ في وصية حمد بن عبد الله أبا الخيل (خب ثنيان) أنه
متزوج من أسرة النعيم في عنيزة ، ويؤكد ذلك وثيقة تثبت أنها
تزوجت قبل حمد أو بعده من عبد الله السماعيل [كذا] نزيل
عنيزة ، كما ورد في وصية حمد إحالة على ورقة عند عثمان بن فايز
أبا الخيل - وهو من أبا الخيل عنيزة ، كل هذا يدل على صلة أبا الخيل
خب ثنيان بأبا الخيل عنيزة . ومن طرف آخر يلاحظ أن هناك
تواصلاً مستمراً بين ذرية صالح الحسين أبا الخيل وذرية حمد العبد الله
أبا الخيل من طرف وذرية عثمان الحسين أبا الخيل من طرف آخر في
خب ثنيان ، فمهما الصالح كان قد أقرض بعض أبناء حمد ، ثم
اشترى ملكهم ، وكانت هناك بين بعضهم بعضاً مبيعات ومدائنات
ووكالات .

وصية حمد بن عبد الله أبا الخليل (خب ثيان) في سنة ١٢٤٤ هـ

جزء من وصية الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد الله أباخيل (عيزة) سنة ١١٤٩ هـ

وصية عثمان بن علي بن عثمان الحسين أبا الخيل (القرعاء) سنة ١٢٦٢ هـ

وَيْفَهُ كَتَبَهُ الْقَاضِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَفِيهِ بِاسْمِ صَالِحِ بْنِ حُسَيْنِ أَبَا الْخَيْلِ (بَرِيدَةً)

صالح الحسين أبا الخيل

يلتقي قسم من أسرة أبا الخيل في بريدة بمجدهم صالح الحسين ،
إذ أن أبناءه الذين تناسلوا كانوا أربعة ، هم : حسين وهو أكبرهم ،
وعبد الله ، ومحمد ، ومهنا وهو أصغرهم ، ويتجلى ذلك فيما توافر
لدينا من وثائق ، فابنه حسين ورد اسمه في وثيقة لأحد أصهاره
مؤرخة في ٢٦ ذي القعدة سنة ١٢٦٢ هـ بخط الشيخ محمد آل عمر
بن سليم ، حيث جعله وكيلاً على وصيته بعبارة « والوكيل على
المذكور أبوه ، وبعده حسين الصالح » . وابنه محمد شهد في وثيقة
مداينة كتبت في غرة ذي الحجة سنة ١٢٨٣ هـ جاء فيها « شهد على
ذلك محمد الصالح آل حسين » ^(١) . وابنه مهنا جاء في وثيقة مداينة
كتبها الشيخ محمد بن عبد الله بن سليم في شعبان سنة ١٢٨٤ هـ
« أقر ٠٠٠ إقراراً صحيحاً شرعياً أن في ذمته لمهنا الصالح
الحسين » ^(٢) . وأخيراً الابن الرابع لصالح الحسين : عبد الله ورد
ذكر لولده (علي) في وثيقة كتبت في شعبان سنة ١٢٨٣ هـ جاء
فيها « وشهد على ذلك جماعة من المسلمين ٠٠٠ وعلي آل عبد الله
الصالح » ^(٣) .

(١) دفتر مهنا ، ص ١٢٣ .

(٢) نفسه ، ص ٨٧ .

(٣) نفسه ، ص ٣٦ .

ولحسن الحظ أن مجموعة من الأوراق الخاصة بصالح الحسين وصلت إلينا ، وبموجبها يمكننا أن نعرف شيئاً عن حياته . فلقد عاش في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري ، حيث أن تلك الأوراق مؤرخة بين سنة ١٢٣٧ هـ وسنة ١٢٦٣ هـ ، مما يعني أنه كان حياً في هذه السنة الأخيرة . وقد كان يكتب اسمه صالح آل حسين أبا الخيل^(١) ، وكثيراً ما يكتفي فقط باسم : صالح آل حسين ، ويبدو أنه اشتهر بهذا الاسم الثنائي بين جماعته في بلده بريدة . ولدينا وصية لإحدى بناته هذا بعض ما ورد فيها « حضرت عندي هيا بنت صالح الحسين الصالح ٠٠٠ فأقرت بأنها أعطت وأوهبت بناتها الأربع ٠٠٠ ثلثين ملكها بالنهر ، إرثها من أبيها صالح الحسين ٠٠٠ وأوصت بالثلث الثالث ٠٠٠ وثوابه لها ولوالديها وعمها رشيد الحسين ٠٠٠ » . في هذه الجمل السابقة من الوثيقة ينكشف لنا أمران ؛ أولاًهما : أن جد صالح الحسين اسمه صالح ، فهو بناء على ذلك : صالح بن حسين بن صالح ، فليس جده محمد كما هو مثبت بشجرة النسب المطبوعة ، وإنما جده صالح . ثانيهما : أن لصالح الحسين أخاً اسمه رشيد ، ويبدو أنه لم يعقب ، يوحي بذلك كون هذه البنت اشركته بالثواب مع نفسها ووالديها ، فضلاً أننا لم نسمع ذرية له .

(١) دفتر صالح الحسين ، ص ١ .

كان صالح الحسين يسكن بيتاً في غربي بريدة ، وقد ورد في تحديد مكان بيته طبقاً لإحدى الوثائق أنه « في قبلية بريدة ، يحده من قبلة بيت علي الناصر ، ومن شرق بيت ابن مطيع ، ومن شمال السوق ، ومن جنوب بيت دهيم وبيت الجاسر »^(١).

وكان صالح الحسين تاجراً كبيراً يدل على ذلك أنه دفع مرة لشراء بضاعة عشرة آلاف ريال فرانسي ، استلمها كاملة من يده مباشرة تاجر اسمه أحمد أغا آدي حسين بيك^(٢) ، ويظهر من اسمه أنه من الأتراك . ولتبيين لك ضخامة هذا المبلغ الذي دفعه في هذه الصفقة ، ومن ثم حجم ثروة صالح الحسين نشير أن متوسط ثمن الناقة في زمنه - حسب وثائق المبيعات حينذاك - يساوي عشرين ريالاً فرانسياً^(٣) . فإذا كان هذا جزءاً مما يملكه من السيولة النقدية فكم حجم ما كان يملكه من مال وعقار ومواشٍ وغيرها ؟ .

ولقد كان تجارته تقوم على ما يحتاجه الناس في تلك الأيام ، حيث كان يتاجر - حسب الوثائق الموجودة لدينا - بالقهوة والسمن ، والقطايف (الزل) والثياب والمشالح ، والحبوب والتمر بجميع

(١) دفتر عبد الرحمن الحسين ، ص ٦ ب .

(٢) دفتر صالح الحسين ، ص ٥ .

(٣) دفتر مهنا ، ص ٤٥ ، ٧٧ ، ١٤٣ ، ١٧٠ .

أنواعهما ، وكذلك الذهب والسلاح ، والإبل والخيل . وكان أحياناً يشارك رجال بريدة في التجارة ^(١) .

وجدير بالذكر أن معظم وثائق صالح الحسين التي وصلتنا كتبها الشيخ عبد الله بن صقيه الذي تولى منصب قضاء بريدة سنة ١٢٤٣ هـ ، وكان قد كتب بعض تلك الوثائق قبل توليه هذا المنصب ، ثم كتب بعضها الآخر أثناء عمله بالقضاء ، وآخر ما نملك وثيقة كتبها ابن صقيه سنة ١٢٥٠ هـ .

ولقد كان صالح الحسين يقرض مبالغ مالية مقابل دين بتمر أو حبوب ، وهذه المبالغ وصلت أحياناً إلى ثلاثمائة ريال فرانسي في الدين الواحد ، وهو مبلغ كبير - بلا شك - في تلك الأيام . ومن الذين أقرضهم صالح الحسين في زمنه من رجال بريدة : حجيلان آل عمير ، وحسن المريمي ، وسليمان ومحمد الرشيد ، وعبد الكريم الجربوع ، ونصار آل حماد ، وعبد العزيز آل عمر ، وعثمان المحيسني ، وحمد الناصر الصقعي . ومن البادية : عقاب الذويبي ، وسعد الشطير ، وغافل بن حليتم .

على أن أشهر الذين أقرضهم صالح الحسين بالدين هو عبد العزيز بن محمد آل أبو عليان الذي تولى إمارة بريدة من عام ١٢٤٣ هـ حتى عام ١٢٧٥ هـ ، ثم من ١٢٧٦ هـ - ١٢٧٧ هـ ، ولدينا

(١) دفتر صالح ، ص ٤١ .

اثنا عشر سنداً كلها تنص على دين لصالح على عبد العزيز ، وقد تمت تلك الديون بينهما قبل ولايته الإمارة ، أولها حسب ما عندنا من وثائق سنة ١٢٣٧ هـ واستمر آخرها حتى السنة التي تقلد فيها عبد العزيز إمارة بريدة . ويلاحظ أن عبد العزيز قد أقره صالح مقابل تلك الديون رهون كثيرة منها مرة أقره سيفاً كان قد أهدي عليه من آل خليفة أمراء البحرين ، واسم السيف المشعل ، ومرة أخرى أقره سيفاً آخر كان قد اشتراه عبد العزيز بنفسه من البحرين . ولعلنا ننقل نص إحدى تلك المداينات ، وفيها مقدار الدين وأمثلة للرهون التي أخذها صالح من عبد العزيز ، يقول السند : « الحمد لله وحده ، مضمونه بأن حضر عندي صالح وعبد العزيز بن محمد وتحاسبوا من طرف دين عبد العزيز الذي حلولة سنة ١٢٤٣ ، وصار آخره باقي بذمة عبد العزيز ٠٠٠ أيضاً أقر عبد العزيز بأن لحق عليه بذمته لصالح آل حسين اثنا عشر ألف وزنة تمر عوض ثلاثمائة ريال ، شقر ومكتومي ، يحل أجله شهر ربيع الأول من سنة ١٢٤٣ ، وأقره صالح وأقبضه بذلك الدين : النهر أصله وعمارته ، ومفرق ومعناوين همر وخلخالين وحشفية [قلادة] . وذلك بعد إذن قوت [والده عبد العزيز المحمد] وعياها لصالح بالرهن لأصل النخل بها الدين [أي بهذا الدين] المذكور ، شهد

على إذنه عبد الله بن صقيه ، وشهد على إقرار عبد العزيز : سعود بن محمد ومحمد الصقعي « ٠٠٠ »^(١) .

كان صالح الحسين شخصية معروفة في القصيم حتى عند البادية ، إذ نرى اسمه مثبت في وثائق تخص رجال من البادية فقد شهد على عالي بن بصيص في كلام أدلى به عند الشيخ ابن صقيه ، كما شهد سنة ١٢٦٣ هـ على صالح في شأن تقسيم مورد للماء بين أفراد من بعض قبيلة حرب « وما ورد فيها قد حصل التراضي بين ورثة مسعود بن مضيان في توريد الماء ... بشهادة صالح بن حسين ... »^(٢) . ولعل ما يدل على مكانة صالح الحسين في القصيم هو أنه كان من ضمن الذين أخذوا الأمان لأهل قصيبا والقوارة من إبراهيم باشا حين غزا القصيم ، فمما جاء فيه « من إبراهيم باشا ابن الوزير محمد علي باشا ، إلى أهل القصيه ، كبيرهم وصغيرهم ، وبعد : فقد حضر عندنا صالح الحسين ومنصور بن مهنا ومطلق بن علي وصالح بن محمد ، وطلبوا لكم منا الأمان ، وقد أعطيناهم الأمان ... في ٣ محرم الحرام سنة ١٢٣٢ . والقوارة من طرفكم في أماننا والسلام » .

(١) دفتر صالح الحسين ، ص ١٣ .

(٢) فائز بن موسى البدراني الحريمي : ابن مضيان الظاهري وعلاقته بالحملاط المصرية في عهد الدولة السعودية الأولى ، ص ٨٠ .

بسم الله الرحمن الرحيم
 ان اهل البيت عليهم السلام
 وصلى الله على سيدنا محمد
 وآله الطيبين الطاهرين
 اجمعين
 فوالله اني قد
 اخذت من اهل البيت
 ما اريد
 فوالله اني قد
 اخذت من اهل البيت
 ما اريد
 فوالله اني قد
 اخذت من اهل البيت
 ما اريد

الامان الذي اخذه صالح الحسين وثلاثة معه من ابراهيم باشا سنة ١٢٣٢ هـ لأهل قصيبا والفوارة

صليوني بانده حضر عندي ناصر المصيري وعبد
 الصغري وشهدوا بان الذي خاض بيد احمد
 اغا اكي حسي بيك من يد صالح آل حسني
 عشرة آلاف ريال بالقهوة وبشلاك منه
 ريال خاضت من عنده من قبلين لسو يلو
 سند فيه عشرة آلاف ريال دفعها صالح الحسين مرة واحدة في تجارة .

حية ريال وايقنا ان علي الغزي بان عمده
 ونحو ستة لصالح آل حسني الفتي وزنه
 ريال وشاه صليح جلتب السبعين الحار
 دين لصالح الحسين سنة ١٢٣٧ هـ

اخذت حده معده يوم ٥ شهر رجب القرد ١٢٣٧
 قد حلفا تراظي بين ورشت مسعود ابن مضياف في
 تولى بين الما تمير لبال امبارك ابن عوض
 الما تطلعتش تير اما تير املت في الحاجب بيد عينا تير
 ولما تير لهم هدر غير اما تير في اب مسعود
 ملين في السليمانيه من ما حلف عليه الرضا فمادة صالح
 ابنهين وشهادة حامدا ابن تارم وحب بنهم
 ابن سالم وانه ورسوله تير الشاهدين

وثيقة شهد فيها صالح الحسين سنة ١٢٦٣ هـ

الحسين
 بسم الله الرحمن الرحيم
 ان اهل البيت عليهم السلام
 وصلى الله على سيدنا محمد
 وآله الطيبين الطاهرين
 اجمعين
 فوالله اني قد
 اخذت من اهل البيت
 ما اريد
 فوالله اني قد
 اخذت من اهل البيت
 ما اريد
 فوالله اني قد
 اخذت من اهل البيت
 ما اريد

وثيقة دين لصالح الحسين على عبد العزيز بن محمد .

ونختم الحديث عن صالح الحسين بما روي أنه في إحدى المرات التي خرج للتجارة مع البدو جاء عمال الزكاة من قبل الإمام فيصل بن تركي حاكم الدولة السعودية الثانية (١٢٥٠ هـ - ١٢٥٤ هـ) ، ثم (١٢٥٩ هـ - ١٢٨٢ هـ) ، ويسمون المزكية ، فحصل بينهم وبين هؤلاء البدو خلاف في مقدار الزكاة ، وكاد أن ينشب بين الطرفين قتال ، فقام صالح وأصلح بينهم ، ودفع شيئاً من ماله الخاص قدر سبعين (غازي) لدرء هذا الخلاف . بيد أن بعض هؤلاء العمال أساءوا الظن به ، ونقلوا لفيصل بن تركي خلاف الواقع ، فاستدعاه إلى الرياض ، فلما وصل إلى هناك سأله فيصل عما جرى ، فخبره صالح بالحقيقة ، وأضاف أن ما فعله هو إصلاح ذات البين ، وتأليف للقلوب تحت طاعته ، ودفاع عن شخص الإمام من القول والقليل ، فعندئذ سر الإمام فيصل من قوله ، وأذن له بالعودة إلى بلده بعد أن جعله أحد الرجال الاعتباريين في بريدة الذين لا يقطع فيها بأمر مهم دون استشارتهم .

أما وفاة صالح الحسين فلا نعرف بالتحديد متى كان ذلك ، ولكن شهادته في الوثيقة الخاصة بحرب كما سبق الإشارة إليها ، وهي في رجب سنة ١٢٦٣ هـ ، يستفاد منها أنه توفي حتماً بعد هذا التاريخ ، طالت المدة أو قصرت . وكان قد سبل شيئاً من أمواله في سبل البر ، ومن ذلك أنه أوقف على الجامع الكبير في بريدة نصف

حسين وعبد الله ومحمد أبناء صالح الحسين

هؤلاء الأبناء الثلاثة لصالح الحسين بجانب ابنه الرابع مهنا هم الذين تناسلوا وصارت ذرياتهم يمثلون ما أسميناهم بأبوالخيل بريدة . وسنقف عند هؤلاء الثلاثة للتعريف بهم مرجئين التعريف برابعهم مهنا في ترجمة مطولة خاصة به . فأولهم حسين الذي يرجح أنه أكبر أبناء صالح الحسين الذكور ، فقد عاش فيما يبدو من الوثائق الموجودة لدينا حتى الثمانينيات من القرن الثالث عشر الهجري ، حيث توفي قبل سنة ١٢٨٥ هـ ، فلدينا وصية ابنه محمد المكتوبة في هذا العام المذكور ينص فيها على نصيبه من ملك أبيه بالصباخ ، مما يعني أن والده حسيناً كان قد توفي قبل ذلك ، وقسمت تركته بين الورثة . عمل حسين الصالح بالتجارة ، وكان أحياناً يشتغل مع والده في المضاربات التجارية حسبما تبين إحدى الوثائق . ومن جانب آخر فقد كان حسين من رجال عقيل المعروفين الذين يسافرون إلى العراق والشام ومصر في زمن مضى ، وعده أحد المؤرخين من « أثرياء بريدة ووجهائها وأصحاب الفضل فيها »^(١) . وقال عنه آخر « كان ٠٠٠ من أعيان مدينة بريدة ووجهائها ، وكان ينهى أخاه مهنا عن التشوف لإمارة البلاد ٠٠٠ وأن يكتفي

(١) العمري : علماء آل سليم وتلامذتهم ، ج ٢ ، ص ٣٢٨ .

بالتجارة ، لكن أخاه لا يوافقهُ »^(١) . وجدير بالذكر أن أبرز شخصية الآن من نسل حسين هو العم الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد الحسين إمام مسجد العجبية ببريدة الآن .

أما الابن الثاني لصالح الحسين فهو عبد الله ، فقد أشار إليه أحد الكتاب المعنيين بذكر أخبار مشاهير الرجال فقال عنه « كان ٠٠٠ من شجعان نجد المشهورين ، وكان كريماً متديناً ، توفي سنة ١٢٨٥ هـ »^(٢) . وأقرب شخصية يعود نسبها إليه هو العم محمد بن علي بن صالح أبا الخيل رحمه الله .

أما الابن الثالث لصالح الحسين فهو محمد ، فقد عاش حتى أوائل القرن الرابع عشر الهجري ، ذاك أنه كتب وصيته سنة ١٣٠٢ هـ مما يعني وجودة في ذلك العام ، وقد يكون بقي بعد ذلك مدة تطول أو تقصر . عاش محمد بن صالح الحسين في بريدة قريباً من أخيه مهنا الصالح ، ففي أكثر من وثيقة من وثائق أخيه مهنا يظهر شاهداً فيها . وقد روي أنه حين أنشأ مزرعة له في صباح بريدة أرسل إلى أخيه مهنا في قصيبا يطلب منه تزويده بفراخ النخل ليغرسها في مزرعته تلك ، فما زال مهنا يرسل له حاجته من تلك الفراخ حتى أكمل غرس المزرعة كلها ، ولذا سمي هذه المزرعة بـ (الهدفية) على اسم المزرعة التي نقل منها ذلك الغريس . ولحظة

(١) البسام : علماء نجد ، ج ٤ ، ص ٧٥ .

(٢) الطويان : رجال في الذاكرة ، ج ٣ ، ص ٣٧٦ .

قتل مهنا كان أخوه محمد في جامع بريدة في انتظار صلاة الجمعة ،
وقد ذهب ابن محمد هذا : علي لمواجهة القتلة الذين كانوا قد تسلموا
إلى إحدى قلاع القصر واعتصموا فيها ، وقد حاول الوصول إليهم
فقتلوه . ولما تولى حسن المهنا الإمارة حفظ لعمه محمد مكانته ، فكان
يصدر عن رأيه في بعض الأمور . ويحسن أن نشير هنا إلى محمد
الصالح قد أوقف على جامع بريدة ثنتين من نخله ، وهما من نوع
الشقراء كما ورد في وثيقة خاصة بأوقاف الجامع المذكور . وجدير
 بالذكر أن أبرز شخصية الآن من نسل محمد هذا هو العم صاحب
المعالي الشيخ محمد أبا الخيل ، والمهندس عبد الله بن علي بن عبد
الله أبا الخيل .

اوصى محمد بن الحسين الصالح ابا الخليل في وصيته
 دوام تادونه في حصته من ملكه ابيه
 بالصالح المعروف لثقة اسوق بثلثه
 فكذا امره على ان يشار به بثلثه كما به
 عنه ما احسبه من حرج

وصية محمد بن حسين الصالح ابا الخليل سنة ١٢٨٥ هـ

في وصيته محمد بن الحسين الصالح ابا الخليل في وصيته
 صالح الحسين ابا الخليل وقف ربع ملكه المستقر اليه فيه المعروف في صالح
 بريدة المعروف في صالح بريدة وربع في ابواب البر وما كان لليه فيه من ماء
 فربع ماء اليه فيه تابع اليه فيه ربع في الوقفية والوكيل عليه ابنه
 صالح اذا ارشدا شهدنا محمد بن صالح على نفسه بما هو من كونه مستمرا على ذلك
 صالح ابن علي الصالح وعبد الله بن عبد العزيز بن محمد الصالح كنهه ونهيه بما فيه محمد
 ابن محمد سليم وقع ذلك في ٧ ص ١٣٤ وصلوا الله على محمد وعلى آله

وصية محمد بن صالح الحسين ابا الخليل سنة ١٣٠٢ هـ

مهنا الصالح

مهنا الصالح شخصية معروفة تولى إمارة بريدة والقصيم عموماً عدا عنيزة في أواخر القرن الثالث عشر الهجري ، وقد تداولت المصادر والمراجع شيئاً قليلاً من أخباره ، خاصة في المدة التي تولى فيها الإمارة . وفي الأسطر التالية سوف نلقي أضواء على شخصيته وتاريخه طبقاً لما تجمع لدينا من وثائق خاصة ومصادر ومراجع وروايات شفوية .

فمهنا هو أحد أبناء صالح الحسين أبا الخيل الأربعة الذين سبق ذكرهم ، وكان أصغرهم ، وهو من زوجة صالح : هيلة بنت مهنا العنقري^(١) ، وكان صالح تزوجها في إحدى رحلاته - كما قيل - إلى الرياض ، حيث حصلت له قصة معروفة لدى الرواة لما مر على منطقة سدير وبالتحديد عند الجمعة ، وعلى إثر ذلك اقترنت به هذه الزوجة ، فكانت آخر زوجاته ، وقد تزوجها في كبره ، فصارت أعز زوجاته عليه ، ولذلك فإنها ما أن ولدت له ولداً ذكراً طلبت منه أن يسميه (مهنا) على اسم والدها مهنا العنقري ، فحقق رغبتها فسماه بهذا الاسم ، ومن المرجح أن مولده كان في حدود سنة ١٢٣٠ هـ أو

(١) وقد نص حسن المهنا في وصيته المكتوبة سنة ١٣٠٧ هـ وأخوه عبد الله في وصيته أيضاً - نصاً على جدنهما هيلة هذه ، حيث خصص لها الأول أضحية ، والثاني خصص لها أيضاً أضحية ، وكذلك إطعام في رمضان .

قبلها بقليل أو بعدها بقليل كما سيتبين لنا من خلال ما سنعرضه مما بقي من وثائقه ، وكذلك الأحداث التي شارك فيها .

ومن المشهور أن مهنا كان من كبار التجار قبل ولايته الإمارة ، والظاهر أن أصل ثروته تكونت في البداية إما في أواخر حياة والده ، أو من إرثه من والده الذي علمنا سابقاً حجم ما كان يملكه من أموال طائلة . وحسب ما عندنا من وثائق فإن من أقدم السندات التي سُجل فيها دين لمهنا كان في محرم سنة ١٢٥٩ هـ ، وكان عوض ٥٢ غازي^(١) (عملة عثمانية في ذلك الزمن) . كذلك فإن من أقدم الممتلكات التي اشتراها كان نصف مزرعة تقع في إحدى القرى الجنوبية لبريدة ، وقد تم ذلك في ربيع الأول سنة ١٢٦٠ هـ ، وكانت بقيمة مائتين وخمسين فرانسي دفعها نقداً^(٢) ، وكتب اسمه في السند : مهنا بن صالح آل حسين بينما صار بعد ذلك في الغالب يكتفي بـ (مهنا الصالح) فقط ، ولعل هذا يؤكد أن هذا المشتري كان في بداية حياته العملية ، فشهرته لدى الناس ما زالت غير واسعة ، فاقضى الأمر أن يربط اسمه بشهرة والده المعروف صالح الحسين .

ولقد قام مهنا بتنمية أمواله حتى صار يمتلك ثروة ضخمة جداً ؛ حيث قام بالتجارة بنفسه ، فرحل إلى خارج الجزيرة العربية في الشام والعراق ، كما دفع أمواله إلى بعض الناس على سبيل

(١) دفتر مهنا ، ص ٢١١ .

(٢) مشتري الخضر .

المضاربات التجارية ، كما وظف جزءاً من ماله في قروض على شكل ديون . على أن أهم العوامل في زيادة ثروته كونه تولى تجهيز حملة حجاج العراق لسنوات غير قليلة ، فمن خلال وصف الرواة لتلك الحملة يتبين قدراته المالية في تجهيزها ثم فيما يكسبه من أرباح بعد انتهائها ، فقد قيل أن عدد الإبل التي حملت الحجاج في قوافله عام ١٢٦٥ هـ وصل إلى خمسين ألف بعير ، وبينما بلغ عدد الحرس فيها إلى عشرين ألف رجل ، وقد حددت مسؤولية مهنا بجانب توفير هذه الإبل - تأمين أيضاً الخيام والأثاث والمواد الغذائية والطهي والحراسة وخاوات القبائل . ولدينا سند سجل فيه دين لمهنا على أحد الناس جاءت فيه عبارة (عقب رَكْبَة مهنا في ثامن شوال ١٢٧٢)^(١) ربما أنها تعني ذهابه لحمل الحجاج . ولقد استمر يحمل هؤلاء الحجاج إلى أن نافسه متعب بن رشيد ، فوقع بينهما خلاف أو شك أن يفضي إلى قتال في حدود سنة ١٢٧٥ هـ ، فتدخل أحمد بن عبد الله الرواف ، وأصلح بين الجانبين ، ومن يومها ترك مهنا حمل الحجاج^(٢) .

والناظر في وثائق مهنا يراه أقرض أموالاً كثيرة بديون على كثير من الناس سواء في بريدة وقراها ومدن القصيم الأخرى ، أو خارج القصيم كالزلفي ، كما أقرض رجالاً من زعماء البادية . بل يلاحظ

(١) دفتر مهنا ، ص ٦٣ .

(٢) إبراهيم المسلم : العقيلات ، ص ٣٢ - ٣٣ .

أنه كان أحياناً يقرض قروضاً حسنة بدون دين . ومن الملفت للنظر شراؤه لكثير من الأملاك والمزارع ، والشيء الذي نحب التنبيه عليه أن أكثر تلك القروض التي أقرضها للناس وكذلك الممتلكات التي اشتراها كانت قبل سنة ١٢٨٠ هـ ، أي قبل ولايته الإمارة . ومن أشهر ممتلكاته التي اشتراها وارتبط بها أكثر من غيرها مزارعه في روضة الربيعي (الربيعية) وقد تملكها سنة ١٢٧٢ هـ ، وقد ورد في وثيقة مؤرخة في جمادى الأولى سنة ١٢٧٨ هـ بقلم حمد بن سويلم تنص على شراء مهنا إمارتها . وقد بنى فيها قصراً سمي الأصقه لحصانته ، ثم بنى بجواره مسجداً كما وردت الإشارة إلى ذلك في وصية ابنه حسن . وحين مر على الربيعية الرحالة الإنجليزي وليم جيفور بالجريف^(١) في أكتوبر سنة ١٨٦٢ هـ (أي في ربيع الثاني سنة ١٢٧٩) قال بعد أن ذكر خروجه من بريدة أنه وجد نفسه ورفقاءه « فجأة على حافة مجاري قنوات مائية عميقة ، وأعواد الذرة التي تظهر من خلفها أسوار عالية . كانت تلك هي روضة ، تلك القرية الصغيرة ، جيدة الري ، وكانت البساتين التي أمامنا هي بساتين مهنا الخاصة ... » . ثم وصف بستان مهنا فقال « كان بستاناً جميلاً جداً تنمو فيه أشجار التين ، وأشجار البرتقال والرمان والخوخ ، ومجاريه المائية مبطنه بالحجر ، وكذلك خزاناته ، أما ممراته فيما بين الأشجار والشجيرات فقد كانت منظمة بذوق رفيع ، وتماثل جميل يختلف عما

(١) وسط الجزيرة العربية وشرقها ، ج ١ ، ص ٣٧٦ - ٣٧٧ .

يعرفه العرب في فلاحه البساتين » . ومن أملاك مهنا المشهورة في
زمنه الركية وتسمى قصر مهنا ، حيث أنشأها تقريباً سنة ١٢٧٧ هـ
/ ١٨٦٠ م ، تقع على بعد ١٨ ميلاً شمال شرقي بريدة ، وكانت
عبارة عن حصن يبلغ قطره ميلين ، ويشمل ستة منازل ، وكان به
عدد من الأبراج للمراقبة ، وفيه بئر كبير ، وكان يزرع خارج أسواره
القمح والذرة والشعير والبطيخ^(١) .

لقد برز مهنا بين جماعته أهل بريدة ، فصار من أعيانهم ، بل
صار شخصية معروفة عند أهل القصيم قبل أن يشتهر أمره في نقل
حجاج العراق ، بدليل أنه في عام ١٢٦٥ هـ لما حصلت ثورة أهل
القصيم (في بريدة وعنيزة) بزعامة عبد العزيز بن محمد آل أبي
عليان ، قدم الإمام فيصل بن تركي إلى القصيم لإخمادها ، اتصل به
مهنا بصفته مندوباً لأهل القصيم ، وتفاوض معه في الصلح ، فقبل
منه الإمام واشترط أن يقدموا السمع الطاعة ، ويدخلوا في الجماعة ،
ويدفعوا الزكاة ، ويركبوا معه في المغازي^(٢) . فاختار جماعته له لمثل
هذه المهمة ، ثم نجاحه فيها يدل من ناحية أخرى على ما كان يتمتع
به مهنا من عقل وحكمة وحسن تصرف . وجدير بالذكر أن مهنا
ظل على اتصال بالإمام فيصل ، ولدينا وثيقة تشير إلى شيء من هذه

(١) لوريمر : دليل الخليج ، القسم الجغرافي ، ج ٥ ، ص ١٨٦٩ - ١٨٧٠ . وراجع شارل

هوبير : رحلة في الجزيرة العربية الوسطى ، ص ٧٩ .

(٢) محمد بن عبد الله السلمان : الأحوال السياسية في القصيم ، ص ١٨١ .

الاتصالات ، ففي أحد السندات سجل فيه كاتبه مبلغاً لمهنا على أحد الناس ورد فيه « عقب ما ركب مهنا للشيخ ... آخر شعبان سنة ١٢٧٧ هـ »^(١). ومن المعروف أن مصطلح الشيخ تعني الأسرة السعودية الحاكمة . وفي هذه السنة نفسها قدم مهنا مساعدة لعبد الله بن الإمام فيصل بن تركي الذي قدم القصيم وعسكر في الربيعية بغرض القضاء على تمرد أمير بريدة عبد العزيز بن محمد ، وتفصيل ذلك أن عبد الله الفيصل أرسل سرية بقيادة أخيه محمد للقبض على عبد العزيز بن محمد ، ولكن هذا الأخير هرب من بريدة ، فلم يستطع محمد اللحاق به ، إذ كان جيشه منهكاً ، وعندئذ قدم مهنا له جيشاً قوياً لتنفيذ مهمته ، وبالفعل تمكن محمد الفيصل بعد هذه المساعدة من إدراك عبد العزيز بن محمد ، وقضى عليه^(٢) .

تولى مهنا إمارة بريدة ، وذلك في سنة ١٢٨٠ هـ على رأي جمهور المؤرخين ، وقد ذكر بعض المؤرخين أن ولايته إمارة بريدة حدثت في ربيع الأول من سنة ١٢٨١ هـ^(٣) ، وكانت ولايته على بريدة بأمر من الإمام فيصل بن تركي ، حيث أن هذا الأخير عين على بريدة بعد مقتل عبد العزيز بن محمد رجلاً من أتباعه اسمه عبد الرحمن بن إبراهيم ، ثم عزله سنة ١٢٧٩ هـ بعد اضطراب أمر

(١) دفتر مهنا ، ص ٦٩ .

(٢) مقبل الذكر : مطالع السعود ، ص ٢٤٦ - ٢٤٧ .

(٣) إبراهيم بن عيسى وعبد الله بن محمد البسام : مجموع في التاريخ النجدي ، ص ١٢٦ .

القصيم وولى مكانه محمد بن أحمد السديري الذي كان قبل ذلك أميراً على الأحساء ، وقد قدم مع جيش الإمام لمواجهة تلك الاضطرابات ، لكنه لم يمكث إلا يسيراً حتى أعاده الإمام فيصل إلى الأحساء مرة أخرى ونصب في بريدة سليمان الرشيد الحجيلاني (آل أبي عليان) ، فبقي أميراً عليها عدة أشهر ، ثم حصل بينه وبين أهلها خلاف شديد على إثره جرى عزله وتولية مهنا الصالح . ومن الغريب أن الرحالة الإنجليزي وليم بالجريف^(١) حينما زار بريدة في سبتمبر عام ١٨٦٢ م أكد أن حاكمها كان مهنا ، وهذا التاريخ الميلادي يوافق ربيعي الأول والثاني من سنة ١٢٧٩ هـ ، فإذا صح كلام بالجريف فمعنى ذلك أن تولي مهنا لإمارة بريدة حدث قبل سنة ١٢٨٠ هـ ، أي قبل التاريخ المعتمد لدى المؤرخين المحليين .

على أي حال صار مهنا بموجب قرار الإمام فيصل بن تركي أميراً لبريدة ، ومن ثم أميراً على القصيم كلها ما عدا عنيزة . لقد كان مهنا الصالح مؤهلاً في تلك الفترة للإمارة في القصيم ، فقد كان كما سبق رسول أهل القصيم إلى الإمام فيصل بن تركي ، وكان من كبار التجار في زمنه ، وربما أنه أكبر تاجر في بريدة حينذاك ، إذ أن أملاكه قبل الإمارة من واقع ما بقي من دفاتره وأوراقه الموجودة بين أيدينا قد غطت غالب بلاد القصيم ، فضلاً عما كان يتوافر لديه من سيولة نقدية . ثم إن لديه خبرة إدارية ومالية ، واطلاع على أوضاع

(١) وسط الجزيرة العربية وشرقها ، ج ١ ، ص ٣٢٢ ، ٣٢٧ .

الحمد لله وحده ولا نقبذ ان وجهه صلى الله عليه وسلم
 اكسب الامير الى تظيره والباعث على تحريكه وتقريره ههنا حضر عندنا
 امر الكافي البالغ اكشيد جوعان ابن سعيد وحضر الحضور ههنا
 ابن صالح آل سبيح فباع جوعان المذكور على ههنا مضاف ملك
 ابنه بكهنة كنهه جوده وجقوده ومراقفه وتواضعه
 وتا صرا ابن جوعان وسهدير وكسبه عبد الله بن جوعان
 ابن سيف جواذ الك في رابع ليلته خلت من ربيع الاول ١٢٦٠
 من الامة السنوية على ههنا حها اوقضا الصلاة والسلام والتحية

وثيقة ذكر فيها مهنا اسمه باسمه مهنا بن صالح الحسين سنة ١٢٦٠ هـ

تحتسب الامير محمد الصالح وتا صرا ابو وادي فضا را خض صاب في امة ابو وادي
 الصالح صبيحة عشرين وبنه قمر سقر الاشرار اطا وصحبة وسبعين
 بالامانة سنة ١٢٦٠ هـ

الحمد لله

اقرب عبد الكريم بن حمد العليط بان عنده وفي ذمته للامير مهنا الصالح
 مئينين وسبع واربعين رايلا وبلغت حالة الامور عليه وههنا عن الهدم
 الي اشترى هو وعمله عمر محمد الله سنده على ذلك الشئ محمد العليط
 وعمله عمر وسنده كم يتبعه الحسن بن سبيح حرة قره را ١٢٨٥

وثقتان ذكر فيها لقب الامير على مهنا .

العالم آنذاك بحكم تسييره قوافل الحجاج وقتاً طويلاً . وعلاوة على ذلك فقد كان يتصف بصفتين ينظر الناس إليهما في ذلك الزمن بأنهما من أهم شروط من يتولى قيادتهم وحكمهم ، وهما الشجاعة والتعود على الغزو ، حيث كان لديهم أمثال سائرة بينهم تدل على ذلك ، مثل قولهم « ما غزا مع مهنا » ، أو « فلان غاز مع مهنا » ، حيث أنه « إذا استخدم رجلاً في الغزو أو التجارة أتعبهم في الخدمة ، والسُرَى في الليل ، فكان من سبق له أن غزا مع مهنا يميز عن غيره لكونه اكتسب من غزوه خبرة في الغزو ، وصبراً على المشاق »^(١). ومنه قولهم عن الدابة إذا استهزلوها ، ووجدوها قد استهلكت قوتها « هذه قد ركبها مهنا » ، وذلك لإتعبه الخيل إذا ركبها^(٢) .

ولقد مال مهنا إلى الاستقلال بإمارته في القصيم بعد الخلاف الذي حصل بين أبناء الإمام فيصل بن تركي ، ذاك أنه عقب وفاة الإمام فيصل سنة ١٢٨٢ هـ تولى الحكم بعده عبد الله الفيصل ، فلم يلبث أخوه سعود الفيصل أن انشق عليه ، ف وقعت الحرب بينهما ، فرأى مهنا عدم الدخول في هذا النزاع ، إذ لم نر وجوداً لقوات بريدة والقصيم في الحرب بين الأخوين رغم استمرارها عدة سنوات ،

(١) العبودي : الأمثال العامة في نجد ، ج ٣ ، ص ١٢٢٧ .

(٢) ابن عبيد : تذكرة أولى النهى ، ج ١ ، ص ٢١٧ .

ومشاركة أهل بعض البلاد النجدية فيها . يقول مقبل الذكر^(١) « أما القصيم لما حصل هذا الاختلاف بين آل سعود رجع أمره إلى أهله ، فلم يدخلوا في هذا الصراع ، فقام مهنا الصالح أبا الخيل ، وتولى إمارة بريدة وتبعه القصيم ، إذ لم يكن فيها أمير ، ومهنا يرشح نفسه لهذا الأمر من زمن طويل ، فلما سنحت الفرصة بهذه الحروب بين آل سعود ، واغتنمها وتولى الإمارة بعد مراجعة جماعته » . ولقد ورد في بعض الوثائق الخاصة تسمية مهنا بـ « الأمير » ، منها وثيقة كتبها الشيخ محمد بن عبد الله آل سليم عام ١٢٨٣ هـ افتتحها بعد التسمية بقوله « تحاسب الأمير مهنا الصالح ... الخ »^(٢).

ويلاحظ أن الدولة العثمانية في ذلك اعتبرت بريدة وعنيزة والقصيم - عموماً - مناطق مستقلة ، فسعت بناء على ما ورد في وثيقة عثمانية مؤرخة في ٢٧ جمادى الآخرة سنة ١٢٨٩ هـ إلى ربط جبل شمر والقصيم وبريدة وعنيزة إدارياً بالمدينة المنورة ، فجاء فيها ما نصه « وبناء على ذلك ، فإذا ما تم ارتباط تلك الأماكن بالمدينة المنورة ، ووجهت قطعة من الوسام المجيدي من الدرجة الثالثة إلى شيخ الجبل المذكور بندر بن رشيد ، ولشيخ بريدة وعنيزة مهنا وزامل من الدرجة الرابعة ... فإن ذلك حسن »^(٣). فهنا أتت الموافقة على

(١) مطالع السعود ، ص ٢٦٠ .

(٢) دفتر مهنا ، ص ١٤١ . وانظر أخرى ص ٢٠٣ ، ١١٢ ، صورة مشترى سعة الله .

(٣) سهيل صبان : مراسلات الباب العالي إلى ولاية الحجاز ، ص ٣١٩ .

استحقاق مهنا الصالح أمير بريدة وساماً مجيداً من الدرجة الرابعة ، بل إنه ورد في خطاب إلى أمير مكة قبل عام تقريباً (في ٤ ربيع الثاني ١٢٨٨ هـ) مضمونه الموافقة على اقتراح تقدم به لإرسال رسالة إلى شيخ قبائل القصيم يطلب فيه تقديم مساعدة لعبد الله الفيصل إن تعرض لضيق مالي في المواجهة مع أخيه سعود وقد جاء النص « فلتدفع حتى مبلغ ثلاثة آلاف ريال من التجار ، بشرط أن تتم تأديتها بعد ذلك من خزينة الدولة » ^(١). ففي هذا الخطاب يتضح أن القصيم قد أصبح مقاطعة مستقلة ، الأمر الذي دعا الدولة العثمانية إلى توجيه خطاب إلى شيخ القصيم لعون عبد الله الفيصل إن احتاج إلى مساعدة مالية بعد أن صار لا يملك سلطة على هذه المنطقة ، ولا شك أن هذا قد حدث بعد استعانة عبد الله الفيصل بالعثمانيين في مرحلة من مراحل صراعه مع أخيه .

عاشت بريدة خاصة والقصيم عامة في ظل إمارة مهنا التي امتدت حوالي اثني عشر عاماً فترة استقرار وهدوء ، فلم يسجل التاريخ في تلك المدة من الحوادث إلا حملة أمير حائل بندر بن رشيد التي توغلت في القصيم ، وتوجهت نحو بلدة الربيعية على وجه الخصوص ، إذ يقال أن أمير حائل هذا طمع ببلاد القصيم مستغلاً الأوضاع السائدة في ذلك الحين ، وقد كان قصده في الأصل مهاجمة بريدة وانتزاعها من حاكمها مهنا ، ولتسهيل مهمته أشير عليه

(١) سهيل صبان : مراسلات الباب العالي إلى ولاية الحجاز ، ص ٢٦١ .

بإخراج مهنا من بريدة ، وذلك بالهجوم على بلدة الربيعية التي كانت تضم أملاكه ومزارعه كما مر ذكره ، فوصل بندر بن رشيد بجيشه الربيعية ، وعسكر في وسطها ، فسارع سكانها بالاعتصام في (قلعتين) قصرين مهينين لمثل تلك الظروف ، يعرف الأول بالقصر الجنوبي (قصر مهنا) ، والثاني بالقصر الشمالي (قصر البازعي) ، ولم يلبث هذا الحصن الأخير أن سقط في أيدي الغزاة ، بينما استمر المعتصمون بالقصر الجنوبي الذي كانوا يسمونه الأصقه لخصانته - استمروا في المقاومة ، وظهروا ضروباً من البطولة والشجاعة ، الأمر الذي جعل بندر بن رشيد يأمر بقطع النخيل القريبة من الحصن التي تعود ملكية أكثرها لمهنا ، وكان أهل الربيعية من جانبهم قد طلبوا من مهنا أن ينجدهم ، وينقذ أمواله وأملاكه من هذا الاعتداء الأثيم ، ولكنه اعتذر إليهم بأنه لا يستطيع أن يخرج بقواته من بريدة خوفاً من هجوم آل (أبو عليان) ، ولا يستبعد أن يكون آل (أبو عليان) قد رتبوا مع ابن رشيد في خطة للاستيلاء على بريدة ، فرأى مهنا أن يُفشل تلك الخطة بضرر لا يضارع ما سوف يحصل من فوضى واضطراب في بريدة ، ومن ثم القصيم كله ، لو خرج منها للمواجهة مع ابن رشيد في الربيعية . ولذلك لما يئس ابن رشيد من خروج مهنا إليه ، وفي ظل المقاومة الباسلة التي واجهها من أهل الربيعية فقد عمد إلى الصلح معهم ، وانتهى به الحال إلى الانسحاب من بلدتهم بعد أن قنع بمصادرة ما يخص مهنا فيها من أموال وأنعام

عوضاً عما حاق به من خسائر ، ويرجح أن تكون هذه الحادثة وقعت في سنة ١٢٨٥ هـ وهي السنة التي تولى فيها بندر بن رشيد الحكم في حائل^(١). وهذا التاريخ معقول ، ولو قدر قبله لكان أنسب ، لأنه يوافق السنوات الأولى من إمارة مهنا على بريدة ، فهو لم يكن بعد قد شكل قوة عسكرية تواجه مثل قوة ابن رشيد ، فضلاً أنه ربما لم يكن الوضع في بريدة نفسها مطمئناً له ، وإلا لما ترك بندر بن رشيد يفعل ما فعله بأهل الربيعية .

ولقد حافظ مهنا الصالح على حياده تجاه الفتنة بين أبناء فيصل بن تركي ، ولم يقدم على مغامرات عسكرية لتوسع سلطانه ، فجنب أهل بريدة والقصيم الحروب وما يتخلف عنها من مأس وأضرار في الأنفس والأموال والعمران ، وقد عرف عنه حسن تعامله ، وطيب مسلكه مع الناس ، « فكان يقول لو كي له : لا تعامل من يكون أقوى منا ، فقال له وكي له مرة : ومن أقوى من الأمير ؟ فأجاب قائلاً : أقوى منا الفقير ، إذا ادعى العسرة فإنه يجب انظاره »^(٢). ولقد كان من أبرز كتابه سلطان الرشيد بن عمرو ، وكان أحياناً يوكله مهنا في دفع بعض الأموال أو استردادها ، وقد أطلق عليه في بعض السندات (وكيل مهنا)^(٣) .

(١) انظر تفصيل هذه الحادثة في عبد العزيز بن راشد السنيدي : الربيعية ، ص ٥٧ - ٦٠ .

(٢) ابن عبيد : تذكرة أولى النهى ، ج ١ ، ص ٢١٨ .

(٣) دفتر مهنا ، ص ١١٢ .

انتهت حياة مهنا بالقتل غيلة على أيدي جماعة من آل أبو عليان^(١)، وتفصيل ذلك أن اثني عشر رجلاً من آل أبو عليان تسللوا إلى بريدة في ليلة الجمعة التاسع عشر من محرم سنة ١٢٩٢ هـ قادمين من عنيزة التي كانوا قد لجأوا إليها ، واحتموا بحاكمها ، فوصلوا إلى بريدة في آخر تلك الليلة ، وكنوا في منزل لآل مدلج شمال جامع بريدة ، على الطريق التي يسلكها مهنا عادة لتأدية صلاة الجمعة في الجامع ، وحين توقعوا وقت خروجه إلى الصلاة - حسبما ذكر بعض رواة الأسرة - أخرجوا طفلة لإعلامهم بمروره ، ولما قدم مهنا أخذت تلك الطفلة تصفق وتردد بصوت مسموع : جاء مهنا ، جاء مهنا ، فعند ذلك استعدوا لقتله ، فلما تجاوز البيت ودخلت رجله اليمنى في باب الجامع أطلقوا عليه النار فقتلوه ، وكان رجل من رجال مهنا يقال له الحوطي يسير خلفه ، لكنه كان بعيداً عنه قد حاول أن ينبه سيده بتصويب هؤلاء سلاحهم إليه ، لكن دون جدوى . ويقال أن واحداً منهم فقط^(٢) - واسمه صالح العبد العزيز المحمد - هو الذي

(١) من الذين كتبوا عن هذه الحادثة بالتفصيل ابن عيسى : تاريخه ، ص ٢٢٤ - ٢٢٦ ؛
الذكير : مطالع السعود ، ص ٢٦٩ ؛ ابن عبيد : تذكرة أولى النهى ، ج ١ ، ص ٢١٦ -
٢١٧ .

(٢) يذكر بعض الرواة أن من عادة مهنا في طريقه إلى الجامع في يوم الجمعة بذل الصدقة
لنساء كن يجلسن هناك ، وإن أحد هؤلاء القتلة كان قد لبس لباس النساء ، وصف معهن
مخفياً سلاحه ، فلما مر مهنا ، وقدم ما قدم من الصدقة ، وتجاوز متجهاً إلى المسجد خرج
ذلك الرجل وصوب بندقيته إليه وقتله .

كمن له في بيت شمالي الوسعة الواقعة شمال الجامع ، أما البقية فبقوا منتظرين في بيت جنوبي الجامع ، فلما خرج مهنا لصلاة الجمعة من بيته الواقع إلى الشمال الشرقي من الوسعة (موقع الخزان حالياً) ، ومرتجهاً إلى جامع بريدة بصحبة عبد له يحرسه اسمه مصلح - أطلق صالح بن العبد العزيز عليه النار ، فأرداه قتيلاً ، ثم توجه إلى رفقائه وأخبر بفعله ، فأسرع الجميع إلى قصر بريدة ، واقتحموه وتحصنوا في مقصورته^(١) . ويقال إنهم توجهوا إلى مكان الخيل في القصر ، فدخلوا عليها ، وكانت هناك عجوز سمعت بصوت البنادق ، ورأت حركة هؤلاء المريبة ، فقامت على الفور بقفل الباب عليهم ، ولذلك صعدوا إلى مقصورة القصر الجنوبية الغربية . أما مهنا فقد خر صريعاً بباب المسجد ، فجاء علي بن محمد الصالح إلى خطيب الجامع الشيخ سليمان بن علي بن مقبل ، فأخبره بمقتل عمه مهنا ، وطلب منه تقصير الخطبة ففعل . هكذا حصل اغتيال مهنا على أيدي جماعة من آل أبو عليان ، ومن الملاحظ أنه في صباح تلك الجمعة ١٩ محرم سنة ١٢٩٢ هـ - أي في ذلك اليوم الذي قتل فيه مهنا - كان قد خرج غالبية رجال الحرب من بريدة لغزو الرس الذي كان أهله قد آووا زعيم مطير سلطان الدويش المطلوب من مهنا ، حيث كان مهنا قد وزع أبناءه للتجهز وقيادة الجيش ، فانتدب حسن للغزو ، وطلب من محمد وصالح التقدم أمامه إلى

(١) العبودي : معجم القصيم ، ج ٢ ، ص ٥٥٤ .

وادي الرمة بعد صلاة الفجر على أن يلحق بهم عقب صلاة الجمعة^(١). وغالب الظن أن الذين قتلوا مهنا قد اغتتموا خلو بريدة من رجالها لتسهيل مهمتهم ، ولكن يلاحظ أنهم لم يجدوا تأييداً ظاهراً لهم ، إذ قام أهل بريدة مع من كان موجوداً من أبا الخيل بمحاصرتهم والتضييق عليهم حتى فجروا المقصورة (القلعة) بهم ، وطاردوا من سلم منهم بعد تفجير المقصورة ، حتى أن واحداً منهم تكاثر عليه الناس في جردة بريدة وقتلوه^(٢). ولعلنا نستلهم من هذا الموقف ارتياح الأهالي لحكم مهنا ، وحبهم له . وقد كان الملك عبد العزيز يلوم عمه عبد الله الفيصل على وقوفه في صف آل أبو عليان المغلوين ، ويرى أن ذلك أحد الأسباب الرئيسة لعدم استقامة الحكم له^(٣) .

توفي مهنا - طبقاً لوثائق قسمة أملاكه - عن زوجتين هما أم ابنه إبراهيم ، ولولوة بنت عثمان بن راشد الجلاجل . أما أولاده فقد خلف ستة أبناء وثمان بنات ، ويظهر أنهم من أربع نساء ، والأبناء هم : حسن وعبد الله وصالح وإبراهيم وعبد الرحمن ومحمد . والبنات هن : حصّة وطرفة ونورة ومنيرة ولطيفة ولولوة وهيلة ومزنة . ومن المهم أن نشير هنا إلى مصاهرة مهنا لآل أبو عليان ،

(١) النقيدان : من شعراء بريدة ، ج ٢ ، ص ١٧٦ .

(٢) ابن عيسى : تاريخه ، ص ٢٢٦ .

(٣) الريحاني : نجد وملحقاته ، ص ١٠١ .

حيث كان تزوج مريم بنت حجيلان بن حمد حاكم بريدة في عصر الدولة السعودية الأولى ، وقد كان من أولاده منها عبد الله الذي نص في وصيته المكتوبة سنة ١٢٩٩ هـ على والدته مريم ، وجده لأمه حجيلان بن حمد . دفن مهنا في مقبرة الصقعا الشمالية ، وكان قبره إلى وقت قريب معروفاً فيها .

[illegible]

محمد بن حسن

تجسس العلوم بن عبد الوهاب بن محمد الصالح عن أبيه في زمن السلطان القادر وضع بيته معلوم
في الكتاب بخطه في سنة ١٠٤٥ هـ الموافق لسنه ١٦٣٢ م في شهر ربيع الاول سنة ١٠٤٥
غفر له وكتبه شاهد به ناصر الدين بن سيف حرر في ١٤ ربيع الاول سنة ١٠٤٥
وثيقة خاصة بمقوق منها بعد أقل من شهر من مقتله .

الکتاب فی علمہ منہ سیرہ و نسی، منیہ ابراہیم کور بسنی مجموعہ کتب
ضمہ علیہ و سرہ ^{۱۸۸۵}
سفر
الحمد للہ

الحمد لله رب العالمين
الذي يعلم به من نظر فيه بان هذا خط من اصالي بيده يعطيه اليه المكون
الابن محمد الله وقد صرح لي يعطيه لابن عمه الله بكسايا ما في نيتة لتعديل
بين الاولاد حتى لا تخفى احوال قائل ذكروا قبته سليمان بن - ولد مقبل تا الخ اول
من سيج الاول ١٢٨٩

نموذج لخط مهنا الصالح وقد صادق عليه قاضي بريدة في زمنه الشيخ سليمان بن علي بن مقبل .

حسن المهنا



هو حسن بن مهنا بن صالح الحسين أبا الخيل ، أكبر أبناء مهنا ، كان والده قد هياه للولاية من بعده ، فكان يرسله نيابة عنه في المغازي ، ويعتمد عليه في المهام الصعبة . وكان قبل مقتل والده قد خرج للغزو في أعالي القصيم ، وبينما كان معسكراً خارج بريدة (قرب الشقة) ينتظر تكامل الجيش جاءه خبر مقتل والده مهنا الذي أغتيل قبيل صلاة الجمعة ١٩ محرم سنة ١٢٩٢ هـ ، فقد روى الشيخ محمد العبودي^(١) عن والده عن جده عبد الرحمن - شاهد عيان - قوله بعد أن ذكر خروجهم للغزو « كان الوقت عصر يوم الجمعة ، وكنا في مجلس حسن المهنا بعد العصر فإذا بفارس قد أقبل بأقصى سرعة على فرس صفراء ، وإذا به محمد المهنا أخو حسن ، فترجل مسرعاً

(١) معجم بلاد القصيم ، ج ٢ ، ص ٥٥٣ - ٥٥٤ .

وقصد أخاه فارتاع حسن ... فقال له : (عسى ما شر ؟) ... فقال محمد : أريد أن اتحدث إليك على انفراد . فدخلا معاً خيمة حسن ... وبعد هنيهة خرج حسن المهنا إلينا ونحن مجتمعون ، وقد تبين في وجهه أنه تلقى خبراً غير سار ، إلا أنه لم يخبر أحداً بما حدث . حتى إذا صلى الناس صلاة المغرب تكلم فيهم ، فقال : لقد أخبرني الأخ محمد أن بعض الأشقياء قد قتلوا الوالد ، وأنهم الآن محصورون في القلعة ... ، وهم مأخوذون إن شاء الله .. ولا معهم من جماعة البلد أحد ، ونحن عزمنا أننا ننكف [أي نرجع] ... فمن كان معنا ، ودربه دربنا فيبقى معنا ، ندخل البلد مجتمعين مع الباب الشمالي ، ومن كان ما هو معنا فليدخل مع باب آخر ... فأكثر الناس جاملوا وبقوا في الجيش ودخلوا مع الأمير حسن ... » .

بعد عودة حسن في ذلك المساء تسلم زمام الأمور ، فأصبح حاكماً في بريدة بعد والده مهنا ، وكان أفراد أسرته وأهل بريدة قد تعاونوا للقضاء على قتلة مهنا الذين كانوا قد دخلوا القصر ، واعتصموا بإحدى مقاصيره (قلاعه) ، وقد حاول علي بن محمد بن صالح الحسين أبا الخيل الصعود إليهم ، فأصابوه برصاصة ، فأردوه قتيلاً ، كما لقي المصير نفسه حسن بن عودة أبا الخيل ، وعندئذ قام أبا الخيل والأهالي بحفر حفرة أسفل تلك المقصورة ، ووضعوا فيها باروداً ، واشعلوا فيها النار ، فثار البارود ، وسقطت المقصورة بمن

فيها ، فمات بعضهم ، وامسكوا البعض الآخر وقتلوهم ، ولم ينج سوى إبراهيم بن عبد الله بن غانم^(١) .

وفي الوقت الذي أصبح فيه حسن أميراً لبريدة كانت الخلافات قد اتسعت بين آل سعود (عبد الله الفيصل وأبناء أخيه سعود) ، فصارت إمارة بريدة تحت حكم حسن واحدة من الإمارات التي ظهر حينذاك في بلاد نجد . على أن أمير حائل محمد بن عبد الله بن رشيد كان قد برز في تلك السنوات بما يملكه من قوة عسكرية واقتصادية ، وكانت لديه طموحاته ، فأخذ يعمل لتقوية سلطانه ، ورأى في حسن المهنا قوة لا يستهان بها ، فتقرب منه ، وعقد معه محالفة سنة ١٢٩٤ هـ على أن يعملوا يداً واحدة على من سواهما ، وقد توثقت الصداقة بينهما حتى صاهر آل الرشيد الأمير حسن ، فتزوج محمد - أمير حائل نفسه - لولوة بنت مهنا أخت حسن ، كما تزوج حمود العبيد الرشيد منيرة بنت حسن . وبهذا الحلف صار ابن رشيد قوة ضاربة مرهوبة الجانب في نجد ، حيث قام الاثنان بعدة غزوات ناجحة ضد الحاضرة والبادية ، ومما يدل على أثر أهل القصيم في انتصارات ابن رشيد في ذلك الوقت ما حصل في وقعة عروى سنة ١٣٠٠ هـ بين محمد بن سعود الفيصل وعتيبة من جانب ومحمد بن رشيد وحسن المهنا من جانب آخر ، حيث هزم محمد بن سعود ومن معه ابن رشيد ، بينما ثبت أهل القصيم بقيادة حسن في أرض المعركة

(١) العبودي : معجم القصيم ، ج ٢ ، ص ٤٥٢ .

حتى عادت الهزيمة على ابن سعود ، فقال شيخ برق محمد بن هندي
بن حميد :

لولا حسن نوح بذربين الأيمان صارت عليكم يا ابو ماجد كسيرة
أولاد علي مطوعة كل فسقان عاداتهم هد الجموع الظهيره^١

لقد كان حسن المهنا « يسير مع ابن رشيد في غزواته مسير الند
للند والصديق للصديق »^(٢) ، وقد استفاد منه ابن رشيد في تطويع
قبائل نجد كلها ، ثم في السيطرة على الرياض حيث شارك حسن في
قواته معه في غزوها . وعلى هذا يمكن أن يقال أن ابن رشيد مدين
لحسن كثيراً في وصول إمارته في نجد إلى المكانة التي وصل إليها .
لكن سيطرة ابن رشيد على الرياض - فيما يبدو - جعلته يشعر
بقوته ، ومن ثم عدم الحاجة إلى صديقه حسن ، فغير معاملته معه
حينما عسكر في المستوي (شرقي القصيم) سنة ١٣٠٥ هـ ، الأمر
الذي أحدث بين الاثنين وحشة ، وقد ذكر بعض المؤرخين أن تلك
الوحشة كانت بسبب أخذ ابن رشيد زكاة مناطق تابعة للقصيم ، أو
بسبب خلاف وقع بين حسن وأمير الزلفي راشد بن سلمان الذي
شكا إلى ابن رشيد ، فظهر حسن عدم خضوعه له .

(١) العبودي : معجم القصيم ، ج ٢ ، ص ٥٥٧ .

(٢) السلطان : الأحوال السياسية ، ص ٢٤٧ .

وعلى أي حال فقد تطور الأمر إلى خلاف بين حسن وابن رشيد ، فانقلبت الصداقة عداوة ، وتوجه حسن إلى التحالف مع زامل السليم أمير عنيزة ، حيث جرى اللقاء بينهما في نفود الغميس بين بريدة وعنيزة سنة ١٣٠٦ هـ ، وقد استمر الاجتماع بينهما لمدة ثلاثة أيام ، فتعاهدا التعاون بينهما ، وألا يخذل بعضهما بعضاً ، وأن يكونا يداً واحدة ضد ابن رشيد .

ولقد زادت شقة الخلاف بين حسن وابن رشيد باعتراض الأول ومعه أهل القصيم على غزو الثاني للرياض في أوائل سنة ١٣٠٨ هـ ، ومن ثم أخذ ابن رشيد يستعد للقضاء على حسن في موقعة فاصلة ، فجمع قوات كثيفة وتوجه إلى القصيم ، وخرج حسن بقواته وقوات حليفه ابن سليم ، ونزلوا في القرعا ، وتترسوا في رمالها ، ولما وصل ابن رشيد نزل في غضي غرب القرعا ، فجرت معركة بين الطرفين في الأربعاء ٣ جمادى الثانية سنة ١٣٠٨ هـ انتصر فيها أهل القصيم^(١) ، وهنا أشار بعض أتباع ابن رشيد عليه بترك

(١) رغم انتصار أهل القصيم بهذه المعركة فقد نقل محمد بن علي العبيد أن إمكانياتهم المادية كانت قليلة ، واستشهد بحكاية ساذجة يقول فيها أن حسن المهنا أرسل رجلاً إلى بريدة يأتيهم بطعام ، وأن هذا الرجل ذهب إلى زوجة حسن ، فقالت : ما عندنا طعام ! خذ هذه ستة أربل اشتر بها زهاب ... إلى آخر الحكاية (النجم اللامع ، ص ٤١ - ٤٢ . وانظر السلطان : الأحوال السياسية ، ص ٢٦٢) ومثل هذه الحكاية غير قابلة للتصديق لعدة أمور أولها : أنها تصور حسن وكأنه شيخ بادية إذا غزا في غزوه خرج برجاله كلهم ، فلم يبق إلا النساء حتى يذهب ذلك الرجل إلى زوجة حسن يخاطبها لتعطيه طعام لجيش يقدر بالآلاف ،

رمال القرعا التي حرمت فرسانه من المشاركة الفاعلة في المعركة ،
ومن ثم التحرك إلى مسطح المليدا ليسحب أهل القصيم إليها ، فإن

فهل يعقل أن تكون إمارة بريدة التي كانت القصيم تتبعها ما عدا عنيزة - بمثل هذه الفوضى
الإدارية والمالية ، وقد مضى عليها في حكم حسن وقبلة والده مهنا أكثر من ربع قرن ،
وعاشت شبه مستقلة زمنياً ومستقلة زمنياً آخر ، والمتبع لأحوال إمارة بريدة في ذلك الوقت
يرى كيف أن حسناً كان حوله عدد من رجال الإدارة والمال المعروفين يستعين بهم تسيير
أمر إمارة ، ثم إنه تعود منذ زمن والده الحرص على تكليف خلف له في بريدة للحفاظ
عليها إذا خرج إلى الغزو ، فما الذي ألجأ هذا الرجل ليطلب من زوجة حسن لتعطيه
طعاماً ؟! . ثانياً : أن بريدة كانت تتبعها جميع بلاد القصيم ما عدا عنيزة ، ومعروف
القصيم بكثرة ثروته الزراعية التي جعلت الاستيلاء عليه هدفاً استراتيجياً بين حكام ذلك
الزمن ، حيث أنه يتوفر فيه من الطعام (التمر والحبوب) ما لا يتوفر في غيره من البلدان .
فالقصيم مثلاً في سنة واحدة فقط ، وهي سنة ١٢٨٣ هـ دفع لعبد الله الفيصل ثمانين ألف
ريال (السلطان : الأحوال السياسية ، ص ٢٣٠) وقد كانت جباية القصيم تدفع إلى إمارة
بريدة ، ولم يكن خارجاً عنها سوى عنيزة والبدائع التي كان حسن قد وهبها لزامل عند
تحالفه معه (ابن عبيد : تذكرة أولي النهى ، ج ١ ، ص ٢٨٨) . ثالثاً : أن حسن لما
اختلف مع محمد بن رشيد منذ ثلاث سنوات تقريباً وهو يتخوف من معركة فاصلة قد تقع
بينهما ، الأمر الذي جعله يتحالف مع زامل ، فهو مستعد لهذه المعركة ، والطعام (التمر
والحبوب) - بلا ريب - من أهم ما يستعد به لمثل هذه المواقع ، ولقد أشاد الرحالة إدوارد
نولده الذي زار المنطقة بعد أقل من سنتين على وقعة المليدا باستعداد بريدة وعنيزة ، وقال
إنهما « كانتا مستعدين منذ وقت طويل لمثل هذا الحدث الكبير » ، بينما ذكر الصعوبات
التي كانت تواجه ابن رشيد في هذه المواجهة من الناحية التموينية (رحلة البارون إدوارد
نولده ، ص ٧٧) فقلوله هذا عكس ما قاله محمد بن علي العبيد . والعبيد عفا الله عنا وعنه
كان متحاملاً على حسن المهنا ، ففي غير هذا الموضع من كتابه أورد شعراً لأحد الخصوم
المعروفين لحسن ، ولم يكتف بنقل الشعر الذي قاله هذا الشاعر ، بل راح يشرح بعض
ألفاظه ، وقال إن المقصود والد حسن : مهنا ، والشعر الذي قاله ذلك الشاعر في حسن كما
نقل ذلك العبيد نفسه .

تبعوه قاتلهم فيه ، وإن تركوه أغار على قرى بريدة ومدن القصيم الغربية كالبيكرية وغيرها ، وقد نفذ ابن رشيد هذا الرأي فتبعه أهل القصيم ، فجرت بين الطرفين معركة المليدا المشهورة في يوم السبت ١٣ من جمادى الثانية سنة ١٣٠٨ هـ ، وقد استمرت من الصباح حتى الليل ، وكان القتال فيها ضارياً ، وقد أصيب حسن المهنا فيها ، حيث كسرت يده (يقال يده اليسرى) ، وقتل كثير من أتباعه . وقد من ضمن القتلى عدد من أسرة أبا الخيل منهم عبد العزيز بن عبد الله بن مهنا الصالح ، وعبد العزيز بن صالح بن مهنا الصالح ، وعبد الرحمن بن حسين الصالح^(١) ، ومحمد العودة أبا الخيل ، وعودة وعبد الله ابنا حسن بن عودة أبا الخيل . أما حسن فقد لجأ - حسبما أشار عليه البعض - إلى عنيزة طامعاً في شفاعته عبد الله بن عبد الرحمن البسام له عند ابن رشيد ، حيث كان لابن بسام مقام محمود لدى ابن رشيد ، بيد أن ابن رشيد أرسل سالم السبهان إلى عنيزة فقبض عليه وأولاده وأبناء عمومته .

وحيث أن هذه الواقعة كانت نهاية حسن المهنا وحكمه في القصيم فلا بد من الإشارة إلى أن بعض المؤرخين يحملونه مسؤولية

(١) وعبد الرحمن هذا هو والد جدي ، وقد ذكر والذي إبراهيم عن جدي صالح أن والده عبد الرحمن هذا - رحم الله الجميع - كان أحد الذين حملوا الراية بعد الهزيمة في المليدا ، فكان ذلك سبب قتله . وكان قد تزوج ابنة عمه مهنا الصالح . وقد بقي لدينا دفتر له فيه كثير من المداينات ، وكان يملك كثيراً من العقار ، وما زالت عقارات في الصباح تحمل اسمه حتى الآن .

الهزيمة التي حلت بأهل القصيم ، ويرون أنه أصر على ملاحقة ابن رشيد - وإن قصد الانسحاب إلى حائل - وتلقينه درساً آخر بعد هزيمته في القرعا ، ويذهبون إلى أنه لم يهتد برأي أمير عزيزة زامل السليم الذي كان من رأيه التريث في القتال ، وعدم ملاحقة ابن رشيد . ويقول بعضهم عن زامل في هذا الموطن « الشجاع برأيه وبقلبه » ، بينما يقول عن حسن « كانت شجاعته بقلبه أكثر من شجاعته برأيه »^(١). والحقيقة أن الرواية التي يتناقضها بعض الرواة في بريدة حول خوض حسن وزامل القتال ضد ابن رشيد في المليدا ، وكذلك واقع المعركة والأحداث لا يتوافق مع ما ذهب إليه هؤلاء المؤرخون . أما ما يتعلق بما يتداوله أولئك الرواة فقد ذكروا أن ابن رشيد ترك القرعا بعد هزيمته ، وقصد المليدا ، وأخذ يهاجم مدن القصيم وقراه الغربية تنفيذاً للخطة التي طرحها عليه أحد أتباعه بمحاذيرها ، وقد تضرر الناس كثيراً من هذه الغارات ، وأصبحت وفود تلك القرى والمدن تفد إلى حسن صباح ومساء تستنجد به وتناشده المواجهة مع ابن رشيد ، وطرد جنوده الذين عاثوا في بلدانهم مفسدين ، بل صاروا يلحون عليه بذلك ، فهنا حصل نقاش بين حسن وزامل ، فكان من رأي زامل التمهّل وعدم السرعة في دخول المعركة لانتظار المدد المتمثل بالإمام عبد الرحمن الفيصل

(١) فهد المارك : من شيم العرب ، ج ٣ ، ص ١١٣ . راجع السلمان : الأحوال السياسية ، ص ٢٦٦ - ٢٦٧ .

وإبراهيم المهنا ، لكن حسن رد عليه بأن هذا المدد تأخر أكثر من اللازم ، وأنه مسؤول بعد الله عن هؤلاء الناس في القصيم الذين صاروا يعانون أشد المعاناة من ابن رشيد وجنده ، ثم وجه كلامه لزامل : أما أنت يا زامل فلست مسؤولاً إلا عن عنيزة فقط ، ولو قدر لك الرجوع إليها ، لأغلقت أبوابها واحتميت بها . وقد اقتنع زامل بما قاله حسن ، لأنه حق لاشك فيه . أما من ناحية واقع حركة ابن رشيد ، فيلاحظ أن أهل القصيم في القرعا كانوا قد اختاروا مكان المعركة ، واستعدوا للمواجهة بمجرد أن علموا بقدوم ابن رشيد إليهم ، فهزموه ، ولم تنفعه كثرة جنده ، ولا كثرة خيله ، لكنه حين هزم لم ينسحب شمالاً نحو حائل^(١) ، بل توجه جنوباً بغرب ، وعسكر في مسطح المليدا الواقع غربي بريدة ، وهو في الوقت نفسه يكون في وسط قرى بريدة الغربية ، وجنده كانوا من الكثرة بحيث لا تخفى تحركاتهم على أحد طوال عشرة الأيام التي كانت بين القرعا والمليدا ، فهل كان لحسن أو غيره خيار للملاحقة ابن رشيد وتلقيه درساً كما يقول أولئك المؤرخون ، أم أن ابن رشيد نفسه بسبب حركته تلك هو الذي فرض على أهل القصيم المواجهة معه ، شاءوا أم أبوا ؟ . إذن فجند القصيم فرض عليهم ابن رشيد أن يلاحقوا

(١) يقول إدوارد تولته الذي مر بالقصيم بعد أقل من ستين على وقعة المليدا ، وقد التقى بابن رشيد ، يقول عن موقفه - اعني ابن رشيد من المواجهة مع أهل القصيم في المليدا أنه صمم « ألا يعيش أي انسحاب مهما كانت الظروف ، ولهذا كان يحتفظ بمسدس وكمية من السم تحت سرجه وتحت مخدته لينهي حياته في لحظة » (رحلة إدوارد تولته ، ص ٧٨) .

جنده ، لخوفهم على مدنها وقراهم التي صار في وسطها ، فالحال أجبرتهم أن يصفوا أمام جيش ابن رشيد ، ومع ذلك أخذوا حذرهم بالترس فيما حول المليدا من كثبان خفيفة كما يقول الرواة ، ولكن المشكلة أن ابن رشيد هو الذي كان يملك زناد إطلاق فتيل القتال إن صح لنا هذا التعبير ، وكان هناك رجال في القصيم يمدونه خفية بالأخبار لحظة بلحظة ، فبمجرد أن رأى الظروف مناسبة اشتبك مع أهل القصيم ، وقد نفذ خطة جديدة في المليدا ، وهي الانسحاب من الميدان متظاهراً بالهزيمة ليخرج إليه المتترسون من متاريسهم ، وقد نجحت خطته وكر راجعاً إليهم ، وقد رتب جنده بأن ربط عدداً كبيراً من الإبل ببعضها بعضاً ، وجعلها في المقدمة ، ثم أمر أن يكون الفرسان على خيولهم من خلفها ، فشكلت تلك الإبل درعاً حصيناً لجيش ابن رشيد ، وحصلت الهزيمة على أهل القصيم^(١) .

ومن الأمور التي تدعو للتساؤل : لماذا لم يعتصم حسن المهنا في قصره الذي كان مشهوراً بمحصاته ، حتى أن ابن ضبعان بعد سنوات (سنة ١٣٢٢ هـ) تحصن فيه مائة يوم ، ولم يستطع ابن سعود وصالح الحسن أن ينالوا منه حتى سلم هو بنفسه ؟ يبدو - والله أعلم - أن حسناً قد فكر بالضرر الذي سيلحق بلده بريدة من جراء اقتحام جيش ابن رشيد لها ، ومن ثم محاصرته للقصر التي كان من المتوقع أن تطول ، ولذلك آثر الابتعاد عن مثل هذا التصرف ، ولذا نرى ابن

(١) راجع ابن عبيد : تذكرة أولى النهى ، ج ١ ، ص ٢٨٥ .

رشيد لم يقتحم بريدة ، وعسكر في الرفيعة مزرعة حسن المهنا شرق بريدة ، مع أن المليدا التي هزم فيها أهل القصيم إلى الغرب من بريدة .

على أي حال فقيما يتصل بحسن فقد أثمرت وساطة عبد الله بن عبد الرحمن البسام في التخفيف من حدة غضب ابن رشيد عليه ، فضمن له عدم القتل والاكتفاء بسجنه مدى الحياة^(١) ، ثم أخذه ومن معه من أولاده وأبناء عمه إلى حائل ، وأودعهم السجن هناك . وحدثني الرواة من الأسرة أن معاملة محمد بن رشيد لحسن ومن معه كانت طيبة ، حيث أسكنهم في بيت حصين ، ولم يضع فيهم الحديد^(٢) ، بل كان يُخرج حسن في كل يوم خميس إلى مجلسه العام ، ثم يرده إلى محبسه وقت الظهر . ولكن لما مات محمد بن رشيد سنة ١٣١٥ هـ وتولى ابن أخيه عبد العزيز المتعب تغيرت المعاملة ، وشدد عليهم ، ووضع الحديد فيهم ، ونقلوا إلى السجن العام ، أما حسن فقد عزل في سجن خاص ، وضع في خشبة حطاب ، وظل على ذلك حتى توفي سنة ١٣٢٠ هـ . ويقال أنه أثناء سجنه تيسر له

(١) ضاري الرشيد : نبذة تاريخية ، ص ٥٦ .

(٢) يقول البارون أدوارد نولده حين وفد إلى حائل سنة ١٣١٠ هـ في كلامه عن ابن رشيد « إن أغلب سجناء الدولة المهمين محتجزون في مكان تحت إشرافه الشخصي ، وحسن بن مهنا شيخ بريدة تم تحويله حسب معلوماتي في يوم وصولي إلى المبنى الحكومي » (رحلته إلى نجد ، ص ٤٢) .

حفظ القرآن الكريم^(١) ، فكان في ذلك خير كثير له . ويبدو أنه حين وفاته قد ناهز السبعين ، فحينما قابله هوبير سنة ١٢٩٧ هـ قدر عمره باثنين وخمسين عاماً ، فيكون عمره حين وفاته في حدود خمسة وسبعين عاماً .

نعود إلى شخصية حسن المهنا وحكمه في بريدة ، فقد كان طاهر العرض ، رزين العقل ، حسن المعتقد ، يؤثر السلم ، ويجب العافية ، يكرم العلماء ، ويعلي من شأنهم . فحين هاجر الشيخ محمد بن عبد الله بن سليم إلى عنيزة على إثر خلاف معه لم يلبث أن رده إلى بريدة معززاً مكرماً ، وعاهده على أن يكون خاضعاً لأحكام الشرع^(٢) . وكان الأمير حسن قد بكى لما اقترح بعضهم جلب عالم بغداد ليحل محل ابن سليم ، ورد بقوله : (تبني أغير عقائد أهل القصيم بشيخ أجيبه من بغداد على شان هوى نفسي ؟ شيخكم محمد بن عبد الله بن سليم)^(٣) . كذلك فإنه سعى إلى إصلاح ما بين طلبة العلم في بريدة بعد أن بدا بينهم شيء من الاختلاف ، حيث جمعهم « ثم سألهم : عمن أخذتم العلم ؟ قالوا : من آل سليم . قال : مالكم تخالفونهم ؟ فأبدوا بعض العذر ، فلم يقبل . وكان قد أحضر

(١) راجع ضاري الرشيد : نبذة تاريخية عن نجد ، ص ٥٦ .

(٢) ابن عبيد : تذكرة أولى النهى والعرفان ، ج ١ ، ص ٢٨٨ . وراجع العمري : علماء آل سليم ، ج ١ ، ص ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٧ .

(٣) ابن عبيد : تذكرة أولى النهى والعرفان ، ج ١ ، ص ٢٧٣ ؛ العمري : علماء آل سليم ، ج ١ ، ص ٢٧ ، ٢١ ، ج ٢ ، ص ٢١٠ .

الشيخ إبراهيم بن عجلان معهم ، فقال له : ما تقول يا شيخ إبراهيم الحق مع من ؟ . فقال الشيخ محمد بن عبد الله بن سليم : يا شيخ إبراهيم إنك مسؤول أمام الله عن هذا المجلس ! فقال الشيخ إبراهيم للأمير حسن : أيها الأمير إن الحق مع آل سليم وأتباعهم . فقال الأمير : إذن لا أسمع منكم كلمة تخالف ما هم عليه ، وقاموا من عنده «^(١) . ولقد كان حول الأمير حسن كوكبة من الرجال المخلصين الذين يستعين بهم في إدارة البلاد ، منهم الشيخ محمد بن سليمان بن مبارك العمري الذي كان مستشاراً له ومفتياً^(٢) ، وعبيد آل عبد المحسن الذي كان من كتابه المتميزين ، وعبد الرحمن السلمي الذي كان عاملاً للزكاة ، وحمود بن عبد الوهاب وخضير المزعل اللذين كانا من خواص رجاله^(٣) .

ومن ناحية أخرى فقد قام حسن أثناء ولايته بتشييد العمران ، وحفر الآبار ، وتفجير العيون ، ومن أعظم ما شيده قصر بريدة المشهور بقول ابن عبيد^(٤) عن هذا القصر « كان كبيراً جداً ، فيه حصون وأبراج وقلاع مهيأة للحرب ، وجعل في أعاليه مصاليت

(١) العمري : علماء آل سليم ، ج ٢ ، ص ٢١٠ .

(٢) العمري : علماء آل سليم ، ج ١ ، ص ٥٣ ، ج ٢ ، ص ٤٤٥ .

(٣) ابن عبيد : تذكرة أولى النهى والعرفان ، ج ١ ، ص ٢٤٤ ، ٢٨٨ .

(٤) تذكرة أولى النهى والعرفان ، ج ١ ، ص ٢٧٢ . راجع ج ٥ ، ص ١٣٣ . وانظر

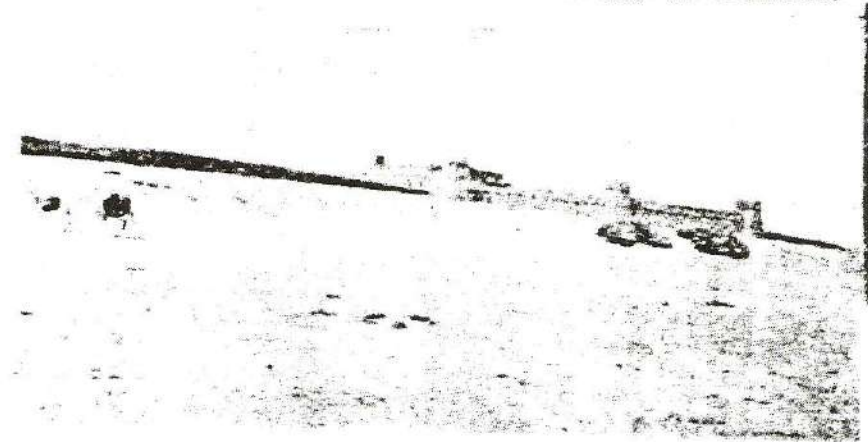
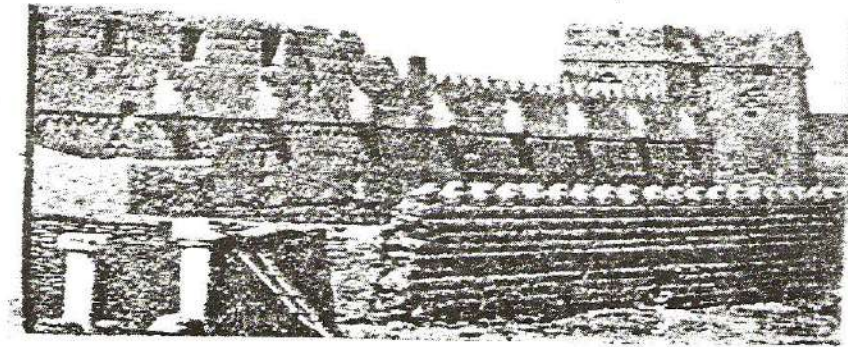
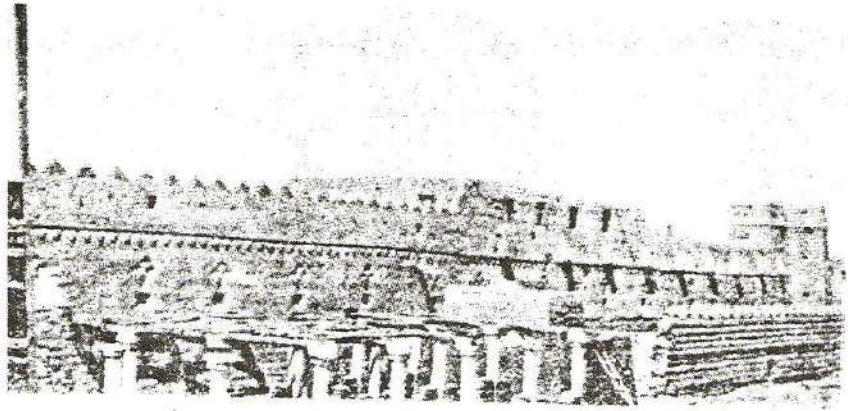
محمد العبودي : معجم القصيم ، ج ٥ ، ص ٢٠٠٥ - ٢٠٠٨ ؛ أحمد حسن المنصور :

بريدة داخل الأسوار وخارجها ، ص ٨٠ - ٨٢ .

ومعدات للقتال ، وأودع فيه محلات المالية ، ومجاني التمور والحبوب والأسلحة، وفيه مجالس واسعة ، وخزائن وسجون وجميع ما تحتاج إليه الإمارة ، وكان هذا القصر محكم البناء ... منيعاً جداً ... وموضعه في وسط البلد ... ولقد رأيت جدار حسن بن منها لما هدم ... فوجدته في غاية القوة والإحكام ، لا تكاد المعاول والفؤس تهده » . وقال عنه هاملتون^(١) الذي زار بريدة سنة ١٣٣٥ هـ « هو عبارة عن بناء مهيب ، قائم على أرض مرتفعة ... له ستة أبراج مربعة وكوة لإطلاق القذائف » . وقال عنه أمين الريحاني^(٢) حينما زار بريدة أيام إمارة عبد العزيز بن مساعد « وهو قصر كبير ذو أبراج متعددة ، وأفنية رحبة ، وقلاع للدفاع الواحدة دون الأخرى ، وفيه بيوت للضيافة ، وماء ومسجد » . والذين أدركوه يقولون أن مربع الشكل تقريباً ، مساحته تقدر بسبعين متراً في مثلها (٧٠ X ٧٠) ، أي حوالي خمسة آلاف متر مربع ، وجدرانها الخارجية ضخمة جداً ، حيث تبتدي أساساتها من الأرض بسمك عرضه أكثر من ثلاثة أمتار ، ثم يتناقص هذا السمك كلما ارتفع الجدار ، وكانت للقصر بوابة واحدة كبيرة من وسط جداره الجنوبي ، عرضها تقريباً أربعة أمتار ، وعند دخولك من هذه البوابة يكون على يمينك ويسارك

(١) يوميات هاملتون عن رحلته إلى نجد ، ص ١٠٤ .

(٢) ملوك العرب ، ج ٢ ، ص ٦١٢ .



صور من ثلاث جهات لقصر بريدة الذي شيده حسن المهنا ، وقد صورها
جون فيلي عام ١٣٣٦ هـ

غرف للحراس ، وأفنية للخيل والإبل ، أما بقية المساحة الأرضية فمستودعات كبيرة للسلاح والحبوب والتمور ، ومشهور في هذا المكان ما كان يسميه الناس (صوبة مقيمة) . وتبعد إلى الدور الأول من خلال درج رئيس كبير عرضه حوالي ثلاثة أمتار يأتي في وجه الداخل من البوابة الخارجية بعد أن يسير مسافة ليست طويلة نحو الشمال ، وفي هذا الدور مجلس الأمير ، وغرف للسكن وغيرها .

كما شيد حسن المساجد ، فزاد في جامع بريدة الكبير ، وبني مسجد عودة الرديني في بريدة ، حيث شرع في عمارته سنة ١٢٩٧ هـ ، وكان حسن يقول : « إني آليت على نفسي أن لا أجعل فيه إلا نفقة طيبة » ، حتى أنه جلب من روضة مهنا حاجة هذا المسجد من الخشب والجريد ، وكان يقول عنها : « هذه إرثي الذي خلفه لي والدي مهنا قبل أن يتولى الإمارة » ، فهو لم يدخل في النفقة عليه شيئاً من بيت المال^(١) . وكان مهندس البناء عبد الله العوني والد الشاعر المشهور محمد العوني . وكان هذا المسجد حينذاك يقع في جنوبي بريدة ، ويعرف الآن بمسجد الحميدي^(٢) . وعقب الانتهاء من بنائه

(١) ابن عبيد : تذكرة أولى النهى ، ج ١ ، ص ٢٤٣ - ٢٤٤ .

(٢) محمد العبودي : معجم القصيم ، ج ٢ ، ص ٤٩٦ . راجع الرميان : تاريخ مساجد

بريدة القديمة ، ص ١٥١ .

جعل الله له قبولاً بين الأمة ، ويأنس فيه قاصده ، إذ لا يخلو في
غالب الأوقات من حلق الذكر ، ومجالس العلم^(١) .

ويلاحظ أن المساجد كانت محل عناية حسن المهنا واهتمامه
حتى أنه في وصيته التي كتبها سنة ١٣٠٧ هـ نص على تخصيص
سراج لخلوة جامع بريدة ، وسراج لخلوة مسجد ابن سيف ، وسراج
لخلوة مسجد محمد آل عمر بن سليم ، وسراج لمسجد عودة الذي مر
ذكره قبل قليل ، بحيث أن هذه السراج تجهز كل سنة مدة الدخول
بالخلوة . كما نص على إعمار الجامع بالذات إن احتاج إلى عمارة .
وفي الوصية نفسها خص مساجد الربيعية ، فأوصى بتجهيز سراج
دائم للمسجد الذي بناه والده مهنا بجانب قصرهم هناك ، وآخر
لمسجد العويقلية . وبجانب ذلك خصص ثلاث قرب ماء يجهز
وقت احتياج الناس ، كما أوصى بنخلة في الربيعية لصوام
مسجدها .

أما ما يتعلق بحفر الآبار فمن أشهر ما قام به حسن حفره ثلاثة
قلبان في شرقي بريدة (حي الرفيعة الآن) ، حيث حفر اثنين في
جنوبي هذا المكان ، وثالثاً في شماليه ، وكانت هذه القلبان كبيرة ،
بحيث أنها تستوعب عشرين ناقة تسني في وقت واحد ، وكانت

(١) ابن عبيد : تذكرة أولى النهى ، ج ١ ، ص ٢٨٣ .

مياها آنذاك عذبة ، وقد زرع عليها النخيل والعنب والرمان والقمح والبرسيم^(١) .

ومن المفيد أن نشير إلى أن رحالة أجنب زاروا بريدة في تلك الفترة ، منهم شارل داوتي Charles Doughty الإنجليزي ، وشارل هوبير Charles Huber الفرنسي . وقد ورد في وصفهما لبريدة ما ينبيء عن ازدهارها واستقرار أوضاعها أيام ولاية حسن المهنا ، فداوتي الذي وصل بريدة في منتصف سنة ١٢٩٦ هـ وصفها بقوله إنها « بلدة كبيرة ، مبنية بالطوب ٠٠٠ تحيط بها أبراج وأسوار ، وفيها بعض المنازل ، وحوها بعض الأشجار النامية فوق كثبان عالية »^(٢) ، وقد تطرق لأعيان بريدة ، وقال عنهم إنهم يتزبون بزي أهل العراق ، وأن كثيراً منهم « من أصحاب الإبل الذين يعملون في نقل القمح في بلاد ما وراء النهرين ، ومن الذين يجلبون من هناك الأقمشة والأرز إلى نجد ، ثم يحملون تمور القصيم وقمحه إلى المدينة المنورة » . وقد صور سوق بريدة فوجد في كثير من الحوانيت سلالاً ممتلئة بالجراد المجفف ، كما هاله وجود المطاعم هناك ، وتحدث أن من يبذل نقوده يستطيع أن يستمتع بوجبة ساخنة من الأرز ولحم الضأن أو لحم الإبل المسلوق في تلك المطاعم ، ويزيد داوتي فيقول « لقد

(١) سليمان النقيدان : من شعراء بريدة ، ج ٢ ، ص ٤٤٤ - ٤٤٥ . راجع ابن عبيد :

تذكرة أولى النهى ، ج ٢ ، ص ٢٥٣ - ٢٥٤ .

(٢) بيتر برينت : بلاد العرب القاصية ، ص ١٨٨ - ١٨٩ .

أدركت أن الإنسان يمكن أن يعيش هنا في بريدة في قلب شبه جزيرة العرب ووسط بدوها كما يعيش في بلاد الرافدين مع فارق واحد ، وهو عدم وجود مقاهٍ عامة ، ولاحظت أيضاً أن بعض نساء بريدة يعملن في بيع الخضروات^(١) ، وأجد هنا أن دمشق ليست بمثل هذا التحضر^(٢) . أما هوبير^(٣) فقد زار بريدة في السنة نفسها التي زارها داوتي ، وكانت زيارته لها في رمضان من تلك السنة ، وقال عنها أنها « مطوقة بجدران من الآجر والتين بارتفاع ٤ أمتار ، يجعلها التموج الزهري تبدو وكأنها حديثة جداً ، المدخل عبارة عن بوابة كبيرة بمصراعين مع عتبة من الحجر ، تتخلل الجدران بين الفينة والأخرى أبراج مدورة أو مربعة ، يزيد ارتفاعها عن ارتفاع الجدران بمترين » . وقد ذكر أن بريدة في ذلك الحين « تملك أربع مدارس ، وستة جوامع [يقصد مساجد] بما فيها الجامع الرئيسي ... » ، وقدر عدد سكانها بنحو عشرة آلاف نسمة . ويضيف هوبير ويقول « بريدة مركز تجاري كبير ، ولكنه لا يعرف أوج ازدهاره إلا خلال الأشهر الأربعة التي تلي قطاف التمر ، في هذا الوقت غالباً ما نرى منتصبه خارج بريدة

(١) أشار بالجريف قبل داوتي إلى عمل نساء بريدة في التجارة في زمن مهنا فقال « وسوق الخضار والفاكهة كبير ، ولا يعمل فيها سوى النساء على وجه التقريب ، وهذا ينطبق أيضاً على سوق البقالة والتوابل ، والجنس اللطيف في بريدة لا يقل مهارة في التجارة والاتجار عن الجنس الخشن » (وسط الجزيرة العربية وشرقها ، ج ١ ، ص ٣٤٨) .

(٢) عبد العزيز عبد الغني إبراهيم : نجديون وراء الحدود ، ص ١٦٧ - ١٦٨ .

(٣) رحلة في الجزيرة العربية الوسطى ، ص ٧٥ ، ٧٦ .

ما يربو عن ألف خيمة بدو يأتون للتزود بالتمر والقمح والأرز
وبعض الأقمشة القليلة التي يحتاجون إليها » ، وبعد الذي رآه في
بريدة قال « أعتقد أنه بإمكانني أن أجزم بأن ثروات في بريدة تفوق
ثروات حائل عدداً وحجماً ، وقد أعطاني الأمير حسن معلومات
عديدة تؤيد ذلك » .

صالح الحسن

هو صالح بن حسن بن مهنا بن صالح الحسين أبا الخيل ، كان أكبر أبناء أمير بريدة حسن ، وقد قدر أحد الكتاب الأجانب ولادته في حدود سنة ١٢٩٣ هـ / ١٨٧٦ م ، أي بعد سنة من مقتل جده مهنا ، ويقول العم حسن بن سليمان بن حسن المهنا أن والده سليمان - أبا صالح - ولد في السنة التي قتل فيها جده مهنا أي سنة ١٢٩٢ هـ ، وأن عمه صالحاً يكبر أخاه سليمان بعشر سنوات تقريباً ، وهذا يعني أن مولد صالح كان في سنة ١٢٨٢ هـ . كان صالح على رأس الذين قبض عليهم ابن رشيد من أبا الخيل بعد وقعة المليدا سنة ١٣٠٨ هـ ، وأودعهم السجن في حائل ، ولكنه بعد عشر سنوات تمكن هو ومن معه من الفرار من السجن ، وذلك في قصة عجيبة متواترة تناقلها الرواة . ملخصها أن محمد بن عبد الله آل رشيد حينما قبض على حسن بن مهنا أخذ معه أبناءه صالح هذا وسليمان ومحمد وأخاه عبد الرحمن بن مهنا ، كما أخذ ابني عمه محمد وصالح ابني عبد الله بن مهنا الصالح ، كما أخذ معهم من أبناء عمومته رجلين هما محمد بن علي  بن عبد الله بن صالح الحسين أبا الخيل ، وعبد العزيز بن علي بن محمد بن صالح الحسين أبا الخيل . وكما سبق فبعد وفاة محمد بن رشيد سنة ١٣١٥ هـ وتولي ابن أخيه عبد العزيز المتعب آل رشيد الحكم قام هذا الأخير بنقل حسن إلى سجن خاص ، وظل البقية في سجنهم ، فكان صالح

الحسن أحدهم . وفي تلك السنوات كان حمود العبد الوهاب أمير
المزكية (عمال الزكاة) عند حسن أثناء حكمه في القصيم - كان قد
انتقل إلى حائل بأمر من محمد بن رشيد وجعله عاملاً للزكاة مثلما
كان يعمل لدى حسن ، وأثناء عمله هناك صار يتردد على أبا الخيل
في سجنهم للزيارة كما كان يفعل كثيرون ، لأنه لم يكن يرد عنهم
أحد يريد زيارتهم في سجنهم ، وذات يوم تباحث معهم في مسألة
إنقاذهم من السجن ، ولكنه أبدى صعوبة ذلك وهم مقيدون
بالحديد ، فردوا عليه بأن السجن والحديد وقوة ابن رشيد لا تمثل
عندهم مشكلة ، المهم من هو الرجل الذي يستطيع أن يعد لهم العدة
من سلاح وركائب ليهربوا عليها بعد خلوصهم من السجن ؟ .
أخذ حمود يفكر بمن يقوم بالمهمة ، فصادف في سوق حائل حسن بن
سالم الدايدي ، فرأى أن يأخذ رأيه في الأمر ، لا سيما وأنه لم يعرف
أحد من جماعة بريدة في حائل سواه ، فطلب منه حمود أن يأتيه في
بيته ، وعرض عليه الموضوع ، فبادر حسن بالقول : أنا أقوم بالمهمة ،
ولكنه شكاً لصديق حمود قلة ذات اليد ، إذ ليس عنده ما يوفر به
العدة المطلوبة من السلاح والركائب ، فقال له حمود : « إذا حصلنا
لك فلوس تقوم بالمهمة ؟ قال : نعم ، حتى لو أدى ذلك إلى قتلي إذا
نجا أمراؤنا » .

خبر حمود العبد الوهاب المساجين من أبا الخيل في زيارته
المعتادة لهم بما حصل بينه وبين الدايدي ، فقالوا : إن الفلوس يمكن

توفيرها بسهولة ، وذلك عن طريق ابنتيهم لولوة بنت مهنا^(١) وبنت أخيها منيرة بنت حسن اللتين ما زالتا في عصمة اثنين من آل رشيد رغم سجن أهلهما ، حيث أن الأولى صارت زوجة لماجد الحمود الرشيد بمشورة من محمد بن رشيد نفسه الذي كان قد طلقها بعد وقعة المليدا ربما خوفاً منها ، أما الثانية فكانت زوجة لحمود العبيد الرشيد ، فلقد كان طعام العشاء يصلهم يومياً بالسجن من هاتين المرأتين ، بالتناوب هذه يوماً وهذه يوماً ، وكانت الواسطة التي توصل العشاء إليهم خادمة لمنيرة الحسن من أهل بريدة ، فطلبوا من هذه الخادمة التي كانوا يثقون بها أن تعرض على عمتيها ما خططوا له ، ومن ثم حاجتهم للفلوس ، فصارتا يومياً تبعثان شيئاً قليلاً من الليرات العثمانية (عملة ذلك الوقت) تحت الأكل لكي لا يفطن إليها ، وكل ما تجمع شيء عندهم أخذه حسن الدايدي التي صار يتردد على السجن لزيارتهم . وبهذه الدراهم استطاع الدايدي بعد مدة شراء ما يحتاجون إليه من السلاح وعدة السفر ، وقد ساعده في

(١) في تلك الفترة التي عاشت فيها لولوة المهنا في حائل كان الشيخ صالح السالم (١٢٧٥ هـ - ١٣٣٠ هـ) قد برز كواحد من طلبة العلم الكبار فيها ، واجتهد في تكوين مكتبة علمية خاصة به ، وفتح باب وقف الكتب عليه ، فبادر المحسنون بشراء الكتب ودفعها إليه ، فكان من ضمن الذين أوقفوا الكتب عليه لولوة المهنا ، حيث أوقفت عليه بعض الكتب ، منها كتاب شرح موطأ الإمام مالك للزرقاني ، فقد جاء في فهرس مخطوط بمحتويات مكتبة الشيخ صالح السالم الموجودة الآن في حائل العبارة التالية (شرح الموطأ في ثلاث مجلدات وقفته عليّ لولوة المهنا وهو للزرقاني) .

ذلك كونه صاحب دكان لبيع مثل هذه الأشياء ، فكان يعرضها للبيع ثم يأخذها بعد ذلك إلى بيته فيتصور الناس أنه باعها . وحين اكتملت العدة والسلاح أخبر المسجونين بذلك وطلب منهم إعلامه بوقت تهيؤهم للخروج ليقوم بتوفير الركائب التي ستحملهم .

لقد كانت الخطة التي وضعها رجال أبا الخيل للفرار من السجن القيام بفتح ثغرة في جدار السجن الذي كان من الطين أولاً ، ثم فك قيود الحديد التي كبلوا بها في أرجلهم . أما فكرة فتح الثغرة في الجدار فقد نشأت من كون الركن الشرقي من حجرة السجن يقع خارج قصر ابن رشيد ، فالخروج من هذه الناحية يؤدي إلى سور البلد الخارجي . شرعوا بفتح هذه الثغرة بواسطة مبشرة نجار صغيرة أحضرتها لهم الخادمة التي كانت تأتيهم بالطعام ، فأصبحوا يرشون بالماء يوماً موضع الحفر الذي جعلوه بقدر ما يخرج أكبرهم جسماً ، ثم يقومون بحكه شيئاً فشيئاً على حين غفلة من الحراس ، وما يتساقط من التراب كانوا يضعونه في إناء الطعام فتقوم الخادمة بأخذه خارج السجن ، وقد ساعدهم على خفاء عملهم وستر هذه الثغرة وجود مساند زود بها السجن كالمساند التي تعود النجديون وضعها على جدران مجالسهم للاتكاء عليها ، وذلك بارتفاع متر عن الأرض تقريباً . استمرت عملية الحك في هذه الفتحة حتى لم يبقَ منها إلا بقدر ما يندفع باليد . أما قيود الحديد فقد حصلوا من الخادمة على مبارد حديد ، فأخذ كل واحد منهم يشذب قيده إلى درجة يجعله

سهل الفك عند الحاجة ، وكانوا أثناء ذلك يلفون الخرق على مواضع الشذب ، ويتظاهرون أمام الحراس بأنهم صنيعهم هذا لاتقاء أثر الحديد . وحين انتهت الإجراءات كاملة أخبروا صاحبهم الذايدي بذلك ، وعندئذ اشترى الركائب التي سوف يستقلونها بعد خروجهم من السجن ، بيد أن ابنتيهم لولوة المهنا وبنت أخيها منيرة الحسن طلبتا منهم - للاحتياط ، ونجاح الخطة - عدم إقدامهم على الخروج من سجنهم إلا في وقت غزوة لابن رشيد ، حيث يخرج هو وجنده من حائل ، فتكون البلد شبه خالية .

جاء الفرج بخروج عبد العزيز بن رشيد إلى المغزا ، فوصل الخبر رغم سرية إلى أبا الخيل في سجنهم عن طريق ابنتيهم فجاء الذايدي إلى السجن في آخر يوم من ذي الحجة سنة ١٣١٧ هـ ، فظاهر أنه سيذهب إلى العراق لجلب عيش وتمر ، وأنه جاء ليودعهم ، فتعلق حارس السجن واسمه مبروك به ، وألح عليه أن يأخذ ناقته معه ليجلب عليها ما تيسر من حمل ، فقبل الذايدي من الحارس عرضه حتى لا يشك فيه ، ثم ضرب موعداً خارج سور حائل قبل منتصف الليل بساعة ، وكان ذلك ليلة الأحد الأول من محرم سنة ١٣١٨ هـ ، في الموعد المحدد تخلص المسجونون من قيودهم الحديدية التي كانت قد أصبحت سهلة القطع ، ودفعوا الشيء القليل الذي تركوه من الفرجة ، فخرجوا واحداً بعد الآخر سوى واحد منهم كان ثخيناً ، فأمر أصحابه بسحبه بالقوة ، فأخرج وبه جراح . فلما

تكاملوا في ردهة السور خارج السجن قصدوا مسجداً هناك ، وكان بجوار ذلك المسجد كعادة المساجد آنذاك بئر لتوفير الماء ، فعمدوا إلى أخذ رشاء البئر (حبل لسحب الماء) وكانوا علموا بوجوده قبل خروجهم ، فاستخدموه لتجاوز السور ، حيث عقدوه بإحدى شرفه ، وجعلوه قسمين ، قسم إلى الداخل وقسم إلى الخارج ، فصعدوا واحداً واحداً ، فمن صعد من هذا الجانب هبط من الجانب الآخر ، ولما تكاملوا جميعاً اندفعوا صوب صاحبهم حسن بن سالم الذايدي الذي كان بانتظارهم وقد هيا لهم الركائب والسلاح . تشاوروا في الوجهة التي يقصدونها ، فأشار عليهم الذايدي بالكمون في جبل أجا لمدة ثلاثة أيام ريثما ينقطع الطلب عنهم ، لكن صالح الحسن ومحمد العلي كان رأيهما السير فوراً نحو الشرق ، لأنه بمجرد العلم بفرارهم من السجن سيتوجه الطلب صوب الجنوب للجزم بتوجههم إلى بريدة ، وقالوا : على احتمال لحاقهم بنا ، فلن يدركونا ما دامت أرواحنا في أجسادنا . تولى سليمان الحسن إرشادهم في سيرهم نحو مقصدهم لمعرفته بالطريق . وحين انكشف للحراس في الصباح فرارهم من السجن فزعوا ووجه الطلب في أثرهم نحو القصيم فلم يجدوهم . أما صالح الحسن ومن معه من أهله فقد استمروا في مسيرهم ، وكلما مروا على قوم ظنوا أنهم من عقيلات ، حيث أن البادية كانوا قد نسوا أبا الخيل لطول سجنهم . لكنهم حين نزلوا ضيوفاً على ابن سويط على حدود العراق ، وجلسوا على

العشاء صار ينظر إلى صالح الحسن نظرات غير عادية حتى خاف عليه أخوه سليمان ، ولما عادوا إلى مجلس القهوة ، أعتذر ابن سويط بأنه ليس من عادته سؤال ضيوفه عن أسمائهم أوقبائلهم ، وأن عليهم عهد الله وميثاقه ما يمسه شر منه ، ثم سأل : هل أنتم أبا الخيل المسجونون عند ابن رشيد ، فردوا عليه : نعم . ثم أوضح لهم أنه لفت نظره هذا الولد - يعني صالح الحسن - الذي قد وصف له ، فعرفه بالوصف . ثم رحب بهم ، وعرض عليهم المقام عنده ، فاعتذروا له بأنهم سيلجأون إلى أبي جابر مبارك الصباح في الكويت ، فوافقهم بأنه لا يحميهم من ابن رشيد بعد الله إلا هو . فانطلقوا من عنده حتى وصلوا الكويت ، فرحب بهم ابن صباح ، فأقاموا عنده^(١) .

لم يمكث صالح الحسن أن عاد إلى وطنه بريدة مع جمع من أسرته وجماعته ، وذلك بعد أقل من سنة من إقامته في الكويت ، حيث قدموا مع غيرهم في جيش حاشد شكله مبارك الصباح الذي كان على عدااء مستحكم مع ابن رشيد ، وقد سعى إلى إعادة من لجأوا إليه في الكويت للعودة إلى أوطانهم ، ولذلك فبمجرد أن وصل هذا الجيش القصيم استرد أبا الخيل بريدة ، وآل سليم عنيزة ، وقد أقام الشيخ محمد بن عبد الله بن سليم في بريدة وليمة كبيرة مظهراً سروره بوصول الإمام عبد الرحمن الفيصل مع صالح الحسن ومبارك

(١) سليمان الرواف : خروج أبا الخيل من سجن حائل .

الصباح وسعدون المنتفق^(١) . لكن ابن رشيد سرعان ما قدم إلى القصيم بجيشه واشتبك مع مبارك الصباح وحلفائه في وقعة الصريف (الطرفية) في ٢٦ ذي القعدة سنة ١٣١٨ هـ ، وبالرغم أن عبد العزيز بن رشيد انتصر في هذه المعركة إلا أن صالحاً كان من الفرسان المتميزين الذين خاضوا المعركة ببسالة ، وواجهوهم خصومهم بقوة ، وأطاحوا برؤوس عدد منهم ، وقد شارك معه في القتال جماعة غير قليلة من أسرته ، يدل على ذلك عدد القتلى منهم ، حيث قُتل فيها من أخوة صالح الحسن وأبناء عمه وأسْرته تسعة هم : محمد بن حسن بن مهنا الصالح الحسين أبا الخيل ، ومحمد وفهد ابنا إبراهيم بن مهنا الصالح الحسين أبا الخيل ، وصالح وعلي ابنا عبد الله بن مهنا الصالح الحسين أبا الخيل ، وصالح بن علي بن عبد الله الصالح الحسين أبا الخيل ، ومحمد بن عبد الله بن علي بن محمد الصالح الحسين أبا الخيل ، وعبد العزيز ومحمد ابنا عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الصالح الحسين أبا الخيل^(٢) . وبهزيمة الصريف رجع صالح الحسن ومن بقي من أسرته أبا الخيل إلى الكويت ، وأخذ يستعد للعودة إلى بلده كرة أخرى .

(١) العمري : علماء آل سليم ، ج ١ ، ص ٣٢ .

(٢) راجع شجرة أبا الخيل ؛ وسليمان الرواف : خروج أبا الخيل من سجن حائل ؛ ابن

عيسى : ورقات غير منشورة من تاريخه ، ص ٣٢٧ .

لقد عرف صالح الحسن بالشجاعة لدى جماعته أهل بريدة
النازحين إلى الكويت ، ربما ظهر لهم ذلك قبل سجنه في حائل ، بينما
ظهر لهم ذلك بشكل جلي في وقعة الطرفية (الصريف) التي مر
ذكرها آنفاً ، فكانوا يفضلونه على غيره من أسرته ، فمما يذكر في
هذا الصدد أن مبارك الصباح استعد لقتال عبد العزيز بن رشيد^(١) ،
فجهز أهل القصيم بثلاثة آلاف من الإبل ، وثلاثة آلاف بارود من
نوع يسمى بالمارتين ، ولما اسند قيادة أهل القصيم إلى أحد أبناء
عمه ، ألقوا السلاح رافضين قيادته لهم بوجود صالح ، وكان أول
من ألقاها عبد الكريم الجاسر (الذي كان حاضراً وروى القصة
لوالدي إبراهيم) ، وعندئذ تبعه الآخرون ، فأخبر ابن صباح
بذلك ، فاستشار وزيره آنذاك عبد العزيز الحسن (أهل الأسياح من
عتيبة) ، فقال له : مارأيك يا ابن حسن في جماعتك ؟ فقال عبد
العزيز إن كنت متنازلاً عن حرب ابن رشيد فجاءك الحل ، وامر
بجمع السلاح ، وإن كنت مصمم على حربه فاجعل قائدهم صالح
الحسن ، لأنهم يريدونه ، فقال مبارك : يا ليتني لم اسمع منك أني
متنازل عن حرب ابن رشيد ، فقال ابن حسن : إذن ارسل المنبه أن
قائدهم صالح الحسن ، ولكن أريد أن ترى بعينيك ما يحصل إذا

(١) ربما أن هذه الحرب هي التي وقعت بعد الطرفية بعدة أشهر ، حيث جهز ابن صباح
الحشود في الجهراء لغزو ابن رشيد ، ثم أغار على نجد ، فوصل جنده إلى قبة قرب الأسياح
(الذكر : مطالع السعود ، ص ٣٦١) .

سمعوا ذلك . فجهزت له عربته التي كانت تجر بواسطة بغلين ،
فركبها ومعه عبد العزيز الحسن والمنبه ، وخرج إلى أهل القصيم ،
وكان ذلك بعد حلول الليل ، يقول عبد الكريم الجاسر راوي القصة
: لما رأينا خروج العرب استعدينا لمقابلة الشيخ مبارك ، وحال وصوله
إلينا امر المنبه بأن أميرنا صالح الحسن ، فتراكضنا إلى السلاح
لأخذه ، ثم نزل عندنا ، وشرب القهوة معنا ، فاستأذناه لإقامة
عرضة ، فقال شاعرنا المشهور محمد الصغير :

رب عينا لا بلانا من البلوى بلا

ارفع الراية لنا يامعين الصابرين

ترحم اللي قاعد يحترى هب الهوا

كود رب البيت يامر شيوخ قادرين

يوم ابو جابر تناهض ورز لنا اللوا

فبشروا بالعز ياللي سنين صابرين

اشلع الصيوان وابنه على روس الثبا

مع جموع أولاد علي مروية السّين

والمزين مثل حيد ايلا منه ارتكى

مع جموع أولاد سالم لجوكم صابيلين

وأخو عبد الله ونعم بعايد أيلأ اعترأ

كد مضى فعله وحنأ شهود حاضرين

وعبدنا متخيرينه أيلأ رد النقا

مع صبيان الحزن لانظم عجب البطين

لقد كان لصالح الحسن دور كبير في المواجهة مع عبد العزيز بن رشيد وإضعافه حتى تم القضاء عليه سنة ١٣٢٤ هـ ، فلقد سعى بعد الطرفية لحشد الحشود لحرب ابن رشيد وتخليص القصيم من قبضته ، حتى ذهب بنفسه إلى الشام لاستنهاض من هاجر إليها من جماعته ، وإثارة الحمية في نفوسهم . يقول مقبل الذكير^(١) « وكان صالح الحسن آل مهنا قد سار إلى الشام بعد حوادث الطرفية ، وكان فيها جالية كبيرة من أهل القصيم ، فأخذ يستنجدهم لمساعدته ، وأرسل لهم محمد بن عبد الله العوني الشاعر المعروف قصيدة حماسية [المسماة بالخلوج] يستنفر بها جماعته أهل بريدة وأهل القصيم عموماً ، فأخذتهم الحمية والشهامة ، فأقبل منهم نحو مائتين وخمسين من أهل بريدة مع صالح الحسن ... فوصلوا الكويت في شعبان سنة ١٣١٩ هـ ... » .

بعد أن تمت الاستعدادات اتفق عبد العزيز بن سعود وصالح الحسن وآل سليم على التعاون بينهم والخروج إلى نجد لتخليصها من

(١) مطالع السعود ، ص ٣٥٦ .

حكم ابن رشيد ، فبينما اتجه ابن سعود إلى الرياض نزل صالح وأهل القصيم في شقراء ينتظرون قدومه إليهم ، فأقاموا فيها ثلاثة أشهر ، وعندما قدم ابن سعود توجه الجميع إلى القصيم ، وأثناء الطريق قبضوا على رجلين فتولى التحقيق معهم صالح الحسن ، فتبين له أنهم من أتباع حسين بن جراد الذي كان نازلاً في فيضة السر ، وقد جاء في سرية لنجدة عجلان في الرياض ، وعندئذ هاجموا هذه السرية ، وقضوا على أفرادها بمن فيهم ابن جراد نفسه ، فلم ينج منها سوى أحد عشر رجلاً^(١) ، وبقضائهم على هذه السرية غنموا سلاحها واستمروا في مسيرهم حتى انتهوا إلى عنيزة ، فوقف ابن سعود خارجها ، وقال : أنا ما أعرف بلدانكم يا أهل القصيم . فسطا صالح الحسن وأخوه سليمان وغيرهم من أهل بريدة مع أهل عنيزة على عنيزة ، فكانوا كلما مروا على سوق من أسواقها - كما روى سليمان الحسن وهو من الذين شاركوا في الحدث - تسليح أهل ذلك السوق وتبعوهم ، فظلوا على تلك الحال إلى وصلوا قصر الإمارة ، وكان الأمير إذ ذاك من قبل ابن رشيد حمد بن عبد الله بن يحيى آل سليم ، وقد جاء فهيد السبهان نجدة له ، فخرج من القصر على فرسه ، فتناولته سيوف المهاجمين من كل جانب ، فخر صريعاً ، فتنازعوا على فرسه كل يطمع في كسبه ، فقام صالح الحسن بإطلاق

(١) راجع ما قاله شاعر بريدة محمد الصغير في هذه الواقعة (منديل بن محمد الفهيد : من آدابنا الشعبية في الجزيرة العربية ، ج ٣ ، ص ١٩٢ .

الرصاص عليه ، درءاً للاختلاف والفتنة . ثم دخلوا القصر بعد أن أخرجوا ابن سليم منه ، ثم أخبروا ابن سعود بدخولهم القصر ، وقد قام بهذه المهمة سليمان الحسن أخو صالح . وكان عبيد بن حمود العبيد الرشيد وأخوه ماجد قد جاءوا لنجدة عنيزة ، فقام المهاجمون بمطاردتهم ، حيث قتلوا عبيداً ، بينما أفلت ماجد منهم وهرب .

توجه بعض آل سليم : صالح بن علي بن يحيى آل سليم أو صالح بن عبد الله بن يحيى آل سليم إلى بريدة ، وقد صدف أن ثارت عواصف شديدة وهو في الطريق ، فمر ببعض المزارعين في الباطن وقد أصابه العطش ، فسقوه ودلوه على جهة بريدة ، فلما وصلها أخبر أميرها من قبل ابن رشيد : عبد الرحمن بن ضبعان بما جرى في عنيزة ، فحينئذ خرج ابن ضبعان من قصر الإمارة في الليل إلى سوق بريدة ، وقصد دكاكينها ، وكسر أقفالها الخشبية ، وأخذ ما بها من أطعمة تحسباً لحصار طويل . ولما علم أهل بريدة بما فعله ابن ضبعان وسبب فعله توجه أعيانهم إلى عنيزة فرحبوا بأميرهم صالح الحسن وابن سعود^(١) . وبوصول الجميع إلى بريدة طوقوا قصرها بالحصار ، وحاولوا اقتحامه عدة مرات ، ولكن بدون جدوى^(٢) ، وكان المهاجمون في بعض الأيام يقيمون العرضة الشعبية بجوار القصر ،

(١) هذه رواية الوالد رحمه الله .

(٢) راجع محمد العلي العبيد : النجم اللامع ، ص ١٥٠ .

لإلهاب الحماس في النفوس ، وما يذكر في هذا الصدد قول الشاعر
عبد الله الوني :

حنا حربنا في رجا الرب العلا
والعمر رخصناه للي سايمين
يا دار جوك اللي ابلماهم^١ هوا
ماكر^٢ مهنا اللي قديم تمتنين
زهابهم يا دار لك نز الدوا
متسبين بالفشق للمارتين
راكب اللي كنها سبع خلا
فوقه غلام للخبر قرم فطين
ينصى عنيزة كان في راسه طغا
يشوف سبهان بخلق المسعرين
وفهيد طاح به ما ادرك اللي هو نوى
يا ما حلى في قلته ضرب السنين
وان كان ابن ضبعان براسه غوا

(١) أي تحيينهم وتهوينهم .

(٢) أي وكر : حصن .

لازم يخلي القصر لو سوره حصين

تم الجواب اللي على قاف سوا

صلوا على المختار ياللي حاضرين

بيد أن ابن ضبعان وأتباعه صبروا على الحصار مدة مائة يوم^(١)، فنقد ما بداخل القصر من المؤن حتى بلغ الأمر بابن ضبعان وأتباعه إلى طبخ الفصم (نوى التمر) وأكله ، بل اضطروا إلى أكل الميتة^(٢). كل ذلك وهم ينتظرون المدد من ابن رشيد الذي انصرف عنهم ، بسبب سفره بنفسه إلى العراق لحشد الحشود من قبيلته شمر هناك من ناحية ، ومن الدولة العثمانية من ناحية أخرى .

لما طال انتظار ابن ضبعان كتب كتاباً لابن رشيد يطلعه على حقيقة حالهم ، وأمر أحد رجاله بحمله إليه ، فتسلل هذا الرجل من القصر ، وسار مشياً على الأقدام إلى أن وصل قصيباء ، ثم ركب منها حتى وصل إلى حائل ، ولما كان ابن رشيد في الطريق إلى حائل عائداً من العراق بعثوا كتاب ابن ضبعان إليه على جناح السرعة ، فرد عليه أن ينتظروا بعد وصول كتابه إليهم سبعة أيام فقط ، ثم يكون عندهم في بريدة ، وإذا لم يصدقوا قوله فلا حرج عليهم في

(١) يقول العوني :

ولا قدرنا له بالأسباب حيله

قمنا مجريه فوق تسعين ليله

(٢) رواية الوالد رحمه الله .

تسليم القصر . ثم أصدر أمره إلى نائبه في حائل حمود العبيد بتكليف رجل يدعى سراء بن زويمل لحمل كتابه لابن ضبعان على أن يصحبه أربعون فارساً من خيار الفرسان ، فلما وصل ابن زويمل بريدة تقدم بعد الفجر لرمي الكتاب إلى المحاصرين في القصر ، وقد كانت مهمة الفرسان الأربعين حمايته خلال قيامه بعمله ، وقد كان من الطبيعي أن يتعرض لوابل من الرصاص من قبل أهل بريدة ، لكنه نجح في مهمته دون أن يصاب بأذى . ومن الواضح أنه حين رمى الكتاب المربوط بحجر تحت المقصورة ، لم يشك أن أهل القصر رأوه ، ولذلك في الحقيقة لم يعلموا عن هذا الفارس ، ولا ماذا يحمل معه ، ولذلك فإنهم بعد ثلاثة أيام من هذه الحادثة ، وفي اليوم الرابع أجابوا إلى الأمان الذي كان المهاجمون ما فتئوا يعرضونه عليهم . وحين سلم ابن ضبعان انتشر الأهالي حول جدران القصر الخارجية فوجد أحدهم كتاب ابن رشيد ، فأخذه وسلمه صالح الحسن التي تولى إمارة بريدة فقرأه ، ثم دفعه لابن سعود فقرأه أيضاً ، وقد علم من الكتاب قرب مجيء ابن رشيد إلى القصيم . أما ابن ضبعان وأصحابه فقد تم تجهيزه - حسب الاتفاق - على ثمانية وثلاثين ذلولاً ، فساروا حتى التقوا بابن رشيد في القوارة . ولقد روى الوالد رواية أخرى تتعلق بنهاية الحصار فقال : عندما وصل ابن رشيد إلى قصيباء ومعه العسكر والمدافع التي تجرها البغال كتب إلى ابن ضبعان يخبره بوصوله ، وكان المهاجمون قد جندوا رجالاً يسمرون لمراقبة القصر ،

وذلك في بيت ابن قيان شرق مسجد الجردة (القرعاوي) ، وفي إحدى الليالي رأوا حصاناً أتى شرقي القصر ، وصوت عدة مرات بقوله : يا عبد الرحمن بن ضبعان ، فلم يجبه أحد ، ثم رمى ما معه من مكاتيب بعد أن ربطها بحجر ، فسقطت دون القصر ، فتنبه أحد هؤلاء المراقبين ، فقال : من يأخذ المكاتيب ؟ ، فرد أحد شجعانهم : أنا ، حيث لبس جلد خروف ، وتظاهر بشكل كلب ، واستطاع أن يأخذ تلك المكاتيب ، فسلمها لابن سعود وصالح الحسن ، وإذا فيها خطاب من ابن رشيد يقول فيه : لا تترك يا ابن ضبعان قصر بريدة ، فقد وصلناك ، نحن في قصيياء . وعندئذ عاهدوا ابن ضبعان ومن معه ، فلما سار شمالاً متجهاً إلى حائل قالوا له : ابن رشيد عندك في قصيياء ! ، فحزن ابن ضبعان حزناً شديداً ، لأنه صبره على الحصار تلك المدة لم يصبح له قيمة . ثم أنه لما وصل ابن رشيد ، سأله : يا عبد الرحمن كيف تركت قصر بريدة وأنا قد وصلت إليك ، وأرسلت إليك المكاتيب ؟ فرد عليه : يا ابن رشيد ، اظفر ما بكم ماجد هرب من عنيزة ، ما جلس ولا ليلة ، وأنا صبرت مائة يوم ، وأكلت الفصم والفطيس ، والله لو جاءني الخبر أنك صال [أي موجه] الجيش من حائل لبريدة إنني ما خليت القصر لو اتزهب نصف أخويائي . فقال ابن رشيد : ما قصرت يا أخو سلمى ، ولكن لا يكربك الأمر ، بريدة مضحى ، وعنيزة معشى ! .

ولقد كان لصالح الحسن أثر فعال في معركة البكيرية^(١)، ذاك أن أهل القصيم وابن سعود استعدوا لحرب ابن رشيد، فحددوا خب البصر مكاناً للتجمع، ولما تكاملت جموعهم ساروا نحو البكيرية التي نزل في شرقها ابن رشيد، وقد أقبل معه بجانب شمر وغيرهم من القبائل - قوات تركية مكونة من أحد عشر طابوراً، وأربعة عشر مدفعاً، فضلاً الذخيرة والمؤن والمال^(٢). قاد صالح الحسن أهل بريدة والقصيم ومن معهم في بداية معركة البكيرية، حيث كانوا يمثلون ميمنة الجيش في رواية، وميسرته في رواية أخرى، وقد أشاد الشاعر محمد الصغير بصالح الحسن^(٣) في بداية وقعة البكيرية فقال :

هاتوا فن نشله	يجلي الهم عنا
هيه يا أبو جديله	فوق منته تشنى
الردى لا تبينه	ذاك ماهوب منا
كيف ماجد وجيله	نازل في وطننا
بالموارث نشيله	لين ينزاح عنا

(١) يقول ابن عبيد عن صالح الحسن « كان صالح هذا شجاعاً، وذا شخصية بارزة، وله مقامات في واقعة البكيرية » (تذكرة أولي النهى، ج ٢، ص ٦٠).

(٢) راجع الريحاني : نجد وملحقاته، ص ١٤٠ .

(٣) هناك عدد من القصائد قالها الصغير بصالح الحسن دون أن يصرح باسمه . انظر منديل بن محمد الفهيد : من آدابنا الشعبية في الجزيرة العربية، ج ٣، ص ١٩٢ - ١٩٣ .

نحمد الله جميله

شيخنا صار منا

نافل كل جيله

من سلايل مهنا

و حين بدأت المعركة في يوم الاثنين ربيع الآخر سنة ١٣٢٢ هـ
ركز ابن رشيد على ابن سعود فكسره ، وقتل من أهل الرياض
خاصة ما يصل إلى ستمائة وخمسين رجلاً ، أما أهل القصيم بقيادة
صالح فقد حال بينهم وبين ابن سعود كثيب من الرمال فواجهوا
القسم الثاني من جيش ابن رشيد الذي يمثل العساكر التركية جزءاً
كبيراً ، وكان قائده العام ماجد بن حمود العبيد الرشيد ، فصدموا هذا
الجيش ، وهزموه شر هزيمة ، وقتلوا قائده ماجداً ، وكذلك ابن جبر
أحد كبار رجال ابن رشيد ، كما قتلوا جمعاً كبيراً من العسكر
التركي ، يقول لوريمر^(١) عن أهل القصيم « تقدموا نحو المعسكر
التركي ، واستطاعوا في المساء أن يستولوا عليه ، وقد قتل في هذه
المعركة القائد التركي وحوالي اثني عشر من ضباطه وعدد كبير من
الجنود ، كم استولى أهل القصيم على كل المدافع التي كانت مع
القوات التركية ، وأسروا كثيرين من رجالها » . وحين عاد ابن رشيد
إلى معسكره بعد مطارته لابن سعود فوجيء بهزيمة بقية جيشه من
قبل أهل القصيم ، وحصل اشتباك بين الجانبين طارد فيه صالح
الحسن ابن رشيد ، وكاد أن يدركه لولا أن حال بينهما عبد حمى

(١) دليل الخليج (القسم التاريخي) ، ج ٣ ، ص ١٧٠٤ .

سيده ابن رشيد بنفسه ، فصارت الضربة بذلك العبد فقضت عليه ،
ومع ذلك فقد أصاب صالح خصمه ابن رشيد في كتفه إصابة
خفيفة . ولقد صور الشاعر عبد الله الوني الذي شارك في المعركة
حينذاك - صور ما جرى أدق تصوير ، فأشاد بأثر صالح الحسن في
الوقعة ، وقد ذكره باسمه الصريح ، حيث يقول :

يا الله المعبود يا منشي الغمايم

عبدك المظلوم تقبل طلبة له

سلم اللي ما وطى درب الظلايم

صالح اللي شال حمل الحرب كله

ما جلس مثله على المسناد حاكم

هو عمى عين الحريب اللي بدله

يوم سرنا مثل غضبان الغمايم

بارق نوه ثميدي يهله

سلة القصمان يجلون الهضاييم

ما حلى مركاضهم بالسيف سله

يوم جمع الروم بالأطواب زاييم

والفشق منا ومنهم صك ظله

طير باللي في خفيف الريش حايـم

كل ذيب جايـع يا طير قله

دونك ماجد طايـح وسط الهدايـم

والأمير اقـفى وهو دمه يشله

جايـب لـديارنا حمر العمايـم

والبكيريـة لهم صارت محله

حظنا من والي الأقدار قايـم

والله اللي حظنا للضد عله

قوله « والأمير اقفى وهو دمه يشله » يقصد ابن رشيد حينما انهزم أمام صالح الحسن والدم يتزف منه بعد إصابته .

ولقد كان لصالح الحسن دور في ضرب قوة ابن رشيد بعد المعركة أيضاً ، من ذلك أنه حينما فرض ابن رشيد على البكيرية ضرائب مثقلة ، واحتتمت سرايا من جنده في بعض بيوتها خرج صالح الحسن في الليل مع ابن عمه محمد العلي أبا الخيل وطائفة من أهل بريدة لتحسس أخبار تلك السرايا ، فوجد صالح عجوزاً من أهل البكيرية خرجت لقضاء حاجتها ، فلما أمسك بها تحسست يده ، فسألته : هل أنت ولد حسن ؟ قال : نعم ، فقرحت بمجيئه ، فطلب منها أن تدله على موضع السرايا ، فأخذته إلى مكانين ،

ونصحته بالهجوم عليها من البيوت المجاورة التي خلت من سكانها .
طلب صالح على الفور من أحد رجاله الذي كان بصحبته وهو
المرداسي أن ينادى بقية رجاله بمن فيهم ابن عمه محمد العلي
للانقضاض على تلك السريتين ، فقسم صالح رجاله على فرقتين ،
وهجموا في وقت واحد على السريتين المذكورتين ، فقتلوا عليهما
تماماً ، ومن أفلت منهما فر هائماً على وجهه ، وقد غنم صالح
ورجاله كثيراً من السلاح والأطعمة التي وجدوها في معسكر جند
ابن رشيد . ولاشك أن صالح الحسن استمر يقود جماعته في قتال ابن
رشيد في الشنادة وما بعدها من معارك جانبية حتى انسحبت جموع
ابن رشيد من القصيم ، يشهد بذلك ما جاء في حينها على لسان
شعراء بريدة ، منها ما ورد في قصيدة للشاعر أبي وني عبد الله الوني
قبيل وقعة الشنادة حين أقيمت عرضة لإثارة الحماس في النفوس ،
فمما قاله يشيد فيها بصالح الحسن ودوره في المواجهة ضد ابن
رشيد :

صاحن الخفرات جاهن من الدوله علام

واعترينا دون من ينقضن زين الجدليل

احمد اللي جاب صالح وهب لنا الولاام

هو عمى عين المحارب وشيال الثقيل

يوم ابن متعب نطحننا بسيرات النظام

مثل كتفان الدبا يوم سار من المقيّل

قام صالح مثل حر تنهض يوم قام

أخو حصه موردتنا الى رز الشليل

يوم سرنا في رجا اللي دخيله ما يضام

ربنا المعبود ما نرجي غيره دخيل

سلة القصمان زاموا وخلوهم هدام

يوم مثلوث الدوا فوقنا فيّه ظليل

ومن القصائد التي قيلت وقتذاك جاء فيها ذكر لصالح الحسن

وجهوده في المواجهة في البكيرية وما تبعها من معارك - قول الشاعر

محمد بن مناور العنزّي :

يا سحاب من عدان البصر ثور

سند الوادي وعدل من يمينا

فوق شرقى البكيرية تزبر

حس ارعاده يشيب المرضعينا

بارقة لمع الهنادي مع مسطر

والهليل به من خشوم المارتينا

هل مصبوب الثميدي فوق تسمر

والغضب هله عليهم من أيدينا
يوم ماجد عن جواد له تدعثر
باول السربه رموه العايلينا
عسى يمنى هوت به ما تجبر
مثل ما خلت متونه قسمتينا
آه من قلب بصندوقه تزفر
يوم حنا بالبكيرية سطينا
شبت العرجا بضر الحر الأشقر
والذيابه منعمات بالبطينا
نار ابن متعب ولو كان يتجبر
ذاعره عصر مضى بالمسلمينا
هابلينه لابتى باليوم الأكبر
سلة القصمان ميتة الجيننا
كم هنوف عقب لبسه المشجر
فصخت تلبس ثياب المحكمينا
وانشدوا قصر عن الديرة مشطر

وش جرى عنده من الجضعا ونينا

نطلب الدين القديم اللي يذكر

دين بقعا والمليدا ما نسينا

نرجي المولى عدد ما هل وامطر

وإن صالح دايم حكمه علينا

كل ذا لعيون راعي القرن الاشقر

ضافي المجدول بدري الجينا

ففي قوله (شبت العرجا بضر الحر الأشقر) قصد صالح
الحسن ، ثم عاد في البيت ما قبل الأخير يدعو الله أن يدوم حكم
صالح على القصيم .

ومما قاله الشاعر علي الحميدة في هذه الأحداث مشيداً بصالح
الحسن في قصيدة طويلة نحتزيء منها ما يلي :

ساروا وسرنا والمدافع نزلت

كم أبلغ دسنه في ميدانها

من يوم شمس الظهر تغطلت

خذوا قضاها لابي بايمانها

قصور الذبايات فيهم تزلزلت

ومن الجنائز دودت سيسانها

ولد حسن ينخى جموع عزلت

يقول يا هل العادات يا قصمانها

تباكوا رباعي والجموع تهدلقت

تذبح بهم لميا امتلت قلبانها

القاع من دم السناعيس سيلت

وعلى أبو فدغم عيادت عقبانها

فهو يشير في قوله (ولد حسن ...) إلى دور صالح في المعارك التي جرت مع ابن رشيد عموماً ، ووقعة أمهات الذيابة خصوصاً ، ويلفت النظر إلى بداية هزيمة جيش ابن رشيد بالإشارة إلى مقتل ماجد الحمود الذي عرف بأبي فدغم .

بعد انسحاب ابن رشيد من القصيم عاد صالح إلى بريدة ، وتزوج ابن سعود أخته هيا الحسن ، ثم ما لبثت الأحداث أن تطورت ، فقد قُتل عبد العزيز المتعب في روضة مهنا في ليلة الثامن عشر من صفر سنة ١٣٢٤ هـ ، وبعدها بأقل من شهرين قبض ابن سعود على صالح الحسن في قصر بريدة ، وذلك في الثاني من شهر ربيع الثاني من تلك السنة ، وقد عرض المؤرخ مقبل الذكر^(١) بشيء

(١) راجع أيضاً إبراهيم محمد القاضي : تاريخ القصيم السياسي ، ص ٨٥ .

من التفصيل قصة القبض على صالح ، ثم عرض أسباب ذلك .
وقد تطرق عدد من الكتاب الأجانب لما حصل لصالح الحسن سواء
في كتب أوتقارير^(١) .

(١) راجع لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخي ، ج ٣ ، ص ١٧١١ ، ١٧١٣ ، ١٧٥١ .
وانظر تقارير عن مصير صالح الحسن في الوثائق البريطانية في كتاب : الملك عبد العزيز آل
سعود سيرته وفترة حكمه في الوثائق الأجنبية ، ج ١ ، ص ٢٣٣ - ٢٣٤ ، ٢٣٧ ، ٢٤٠ ،
٢٩٦ .

الشيخ عبد الله بن حسين الصالح

ولد بمدينة بريدة في حدود عام ١٢٧٥ هـ ، وكان والده حسين الصالح من أثرياء بريدة ووجهائها ، كما كان عمه مهنا الصالح من كبار التجار في القصيم ، وحين بلغ الشيخ عبد الله من العمر خمس سنوات آلت الإمارة في بريدة إلى عمه مهنا ، ورغم هذا الجاه والمال اللذين توافرا له إلا أنه انصرف بكليته إلى العلم ، فتعلم أولاً مبادئ القراءة والكتابة ، ثم شرع في طلب العلم على علماء بريدة في ذلك الحين ، فدرس على الشيخ سليمان بن علي المقبل ، والشيخ محمد بن عبد الله بن سليم ، والشيخ محمد بن عمر بن سليم حتى أدرك إدراكاً جيداً^(١) . ثم رحل مع مجموعة من زملائه إلى الرياض للتزود من العلم ، والدراسة على مشايخها ، فكان من أبرز من تلقى عنهم العلم هناك الشيخ إسحاق بن عبد الرحمن آل الشيخ ، وأثناء وجوده في الرياض ناقش بعض علمائها في مسألة التذكير في صلاة الفجر ، واحتد النقاش بينهم حتى رد عليه الشيخ ابن سحمان ، وقد يكون هذا الرد موجوداً ضمن مجموعة الردود لابن سحمان .

عاد إلى بلده وتابع طلب العلم حتى صار من العلماء المعروفين فيها ، وقد رشح للقضاء عدة مرات سواء في بريدة أو ما يتبعها من

(١) العمري : علماء آل سليم وتلامذتهم ، ج ٢ ، ص ٣٢٨ ؛ البسام : علماء نجد ، ج ٤ ، ص ٧٥ .

المدن والقرى ، ولكنه لم يقبل بذلك ، وآثر العافية . ولما استقام الأمر
للملك عبد العزيز بن سعود ، ونقل الشيخ عبد العزيز بن بشر عن
قضاء بريدة استشار الملك عبد العزيز الشيخ صالح بن عثمان
القاضي فيمن يلي مكانه فأشار عليه بالشيخ عبد الله ، لكن الأحوال
السياسية غير مناسبة لتوليته^(١).

عايش الشيخ عبد الله الفتن التي عصفت ببلده ، والحن الي
مرت بها أسرته من جراء ولايتهم الإمارة في القصيم ، فتجرع مقتل
عمه مهنا الصالح عام ١٢٩٢ هـ غيلة على أيدي جماعة من (أبو
عليان) ، ثم تجرع ما حدث في وقعة المليدا سنة ١٣٠٨ هـ ، حيث
قتل فيها أخوه عبد الرحمن وجمع من أبناء عمومته ، فضلاً عن أسر
ابن عمه حسن المهنا حاكم بريدة وعدد من أفراد أسرته ، وسجنهم
في حائل ، ثم شهد ما حصل من نكبة لأبوالخيل ، وقد تمثل ذلك في
مقتل صالح الحسن وأخوه مهنا عام ١٣٢٤ هـ ، ثم في مقتل أبناء
إبراهيم المهنا الصالح ومعهم ابن عمهم عبد العزيز بن حسن المهنا
في الشماسية سنة ١٣٢٧ هـ .

في ظل تلك الظروف التي مرت بها أسرته ، وما تبع ذلك من
تقلبات سياسية ، وفتن متتابعة في بريدة فقد رحل عنها ، واستوطن
قرية المريدسية أحد الخبواب (الأرياف) الغربية ، واعتزل فيها ،

(١) البسام : علماء نجد ، ج ٦ ، ص ١٤٤ .

فصار همه العلم تعلماً وتعليماً ، وتفرغ للعبادة ، وصار طلابه وأحابيه يأتون إليه ويستفيدون منه . وقد كان من أخص أصحابه وأحبهم إليه الشيخ الزاهد عبد الله بن محمد بن فدا ، وكان كثيراً ما يلتقيان ببعضهما بعضاً ، ويتباحثان في مسائل العلم ، وقد نقل الشيخ عبد الله بن محمد عن والده الشيخ محمد بن الشيخ عبد الله أنه ذات يوم جاء الشيخ ابن فدا إلى صديقه الشيخ عبد الله ، فأخبره أن عقرباً لدغته مع أنه قد قرأ الأوراد المعروفة التي تحمي قارئها بعد الله سبحانه من أن يصاب بشيء ، فقال الشيخ عبد الله : الرسول ﷺ قال لم يضره شيء ، ولم يقل لم يصب بشيء ، ثم سأل ابن فدا : هل ضرتك هذه العقرب ؟ قال : لا . فقال : هذا هو معنى الحديث . ولعل من الآثار الباقية الدالة على صحة الاثنين وصدافتها تحرير الشيخ ابن فدا عدداً من وثائق البيع أو المداينة الخاصة بالشيخ عبد الله ، حيث لدينا وثائق من هذا النوع كتبت في محرم وصفر سنة ١٣٢٤ هـ ، وفي ذي القعدة سنة ١٣٢٦ هـ .

جلس الشيخ عبد الله للتدريس في بلدة المريدسية ، فبقي عدة سنوات يدرس ويحضر عنده جموع من الطلبة سواء من داخل هذه البلدة أو من خارجها ، فعلى سبيل المثال كان يأتي للدراسة عليه ابن ضويان من حويلان ، ومحمد بن مقبل ورشيد بن إبراهيم الحميميد من

البصر^(١). وقد درس على يديه وانتفع به خلق كثير ، واستفاد منه الخاصة والعامة ، فكان من أبرز من أخذ عنه :

- ابنه الشيخ محمد الذي تولى القضاء في عنيزة وبريدة .
 - الشيخ سليمان بن عبد الله المشعلي الذي تولى القضاء في البكيرية .
 - الشيخ محمد بن مقل بن علي المقل الذي تولى القضاء في البكيرية .
 - الشيخ عبد الله بن عودة السعوي الذي تولى القضاء في الدمام وجيزان وغيرها .
 - الشيخ عبد الله بن محمد أبا الخيل قاضي الشبيكية وغيرها .
 - الشيخ سليمان بن ناصر السعوي إمام جامع المريدسية .
- كما أخذ عنه عبد العزيز بن عودة السعوي ومحمد بن صالح المحميد ورشيد المحميد وناصر البرادي وغيرهم كثيرون^(٢) .

(١) راجع ابن عبيد : تذكرة أولى النهى ، ج ٤ ، ص ٢٩٨ .

(٢) العمري : علماء آل سليم وتلامذتهم ، ج ٢ ، ص ٣٢٨ - ٣٢٩ ؛ البسام : علماء نجد

، ج ٤ ، ص ٧٥ - ٧٦ .

كان الشيخ عبد الله يتحلى بالتقى والصلاح والعفاف ، وقد عرف عنه التواضع والسماحة حتى مع النساء والأطفال ، وكان من المشهور عنه اختياره جانب التيسير على الناس في أحكام الدين .

ومن جانب آخر فقد كان للشيخ عبد الله دور واضح في حل مشاكل الناس وخدمتهم في بلدة المريدسية وما حولها من قرى ، ولعل ما بقي من وثائق كثيرة مختومة بعبارة التي صيغتها (كتبه عبد الله آل حسين الصالح) تشهد بهذا الدور ، وكان علماء ذلك الوقت يقررون ما يصدر منه من كتابات ووثائق وأحكام بين الناس ، من ذلك ما علقه قاضي بريدة في زمنه الشيخ صالح بن الشيخ قرناس ، ففي وثيقة حررها الشيخ عبد الله في جمادى سنة ١٣١٨ هـ بشأن قسمة ملك لأحد الأسر في خب البريدي - كتب الشيخ صالح عليها « الحمد لله ، القسمة المذكورة أعلاه وقف ، الورقة صحيحة لازمة ، قال ذلك مملية الشيخ صالح بن قرناس ، كتبه عن إملائه عبد الله بن عمرو ، حرر ١٢ ج سنة ١٣١٩ » . أما أقدم وثيقة تملكها كتبها الشيخ عبد الله فقد حررها في ذي القعدة سنة ١٢٨٨ هـ . و بالنسبة لأسرته فمن الطبيعي أن يصبح مقصدهم فيما يعرض لهم من قضايا ، فكثير من وصايا أفراد الأسرة كتبها الشيخ بنفسه ، كما كتب جملة من وثائق البيع والشراء والمداينات الخاصة بهم ، بل تعودت الأسرة أن تسند إليه الولاية على الوصايا والأسبال ، ومن أشهرها وكالته على قسمة وصية ابن عمه إبراهيم المهنا الصالح وأولاده في

الحمد لله
 آخرت منيرة المصطفى باق فيها في خدمتها لعبيده الموحدين
 فستعينهم في شق عودهم ولا تتركهم في حبل جيلين في شق
 مشقة على كل من جاسروا شرفاً كانت عبد الله الحبيب في حرمها
 في حرمها المكنون
 من أوائل الوثائق التي كتبها الشيخ عبد الله الحسين سنة ١٢٨٩ هـ

الحمد لله
 آخرت منيرة المصطفى باق فيها في خدمتها لعبيده الموحدين
 فستعينهم في شق عودهم ولا تتركهم في حبل جيلين في شق
 مشقة على كل من جاسروا شرفاً كانت عبد الله الحبيب في حرمها
 في حرمها المكنون

من أواخر الوثائق التي كتبها الشيخ عبد الله الحسين سنة ١٣٣٦ هـ

الحمد لله
 حفظها عبد الله الحسين المصطفى باق فيها في خدمتها لعبيده الموحدين
 فستعينهم في شق عودهم ولا تتركهم في حبل جيلين في شق
 مشقة على كل من جاسروا شرفاً كانت عبد الله الحبيب في حرمها
 في حرمها المكنون

وثيقة بيع كتبها الشيخ عبد الله الحسين بين أخيه عبد الرحمن الحسين وآخر سنة ١٢٩٨ هـ

الحمد لله
 حفظها عبد الله الحسين المصطفى باق فيها في خدمتها لعبيده الموحدين
 فستعينهم في شق عودهم ولا تتركهم في حبل جيلين في شق
 مشقة على كل من جاسروا شرفاً كانت عبد الله الحبيب في حرمها
 في حرمها المكنون

وثيقة كتبها الشيخ عبد الله الفلاني شخص صديقه الشيخ عبد الله الحسين سنة ١٣٢٤ هـ

الربيعية ، وقد ورد ذلك بوثيقة كتبها الشيخ عمر بن محمد بن سليم ، حيث جاء في مطلعها بعد التسمية « حضر عندنا عبد الله بن حسين الصالح وكيلاً على قسمة وصية إبراهيم المهنا ووصايا أولاد إبراهيم وأختهم ... » ، وفي ختامها ورد قوله « وشهد به وأثبتته كاتب الأحرف عمر بن محمد بن سليم ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه ، حرر غرة جمادى سنة ١٣٣٦ » .

وما زال الشيخ عبد الله على حالته الحميدة من خدمة العلم ، ونفع العامة والخاصة ، والعبادة والطاعة حتى وافاه أجله في سنة ١٣٣٧ هـ^(١) بعد إصابته بالمرض العام الذي نزل بالناس في تلك السنة (وهو وباء مهلك ، عرف طبياً بالإنفلونزا الإسبانية) ، وتعرف عند أهل نجد بسنة الرحمة ، فصلي عليه ببلده المريدسية ، ودفن في مقبرتها الواقعة الآن على يمين الذهاب إلى مطار القصيم ، وهي تكون على الجانب الغربي من الشارع الداخل من طريق المطار إلى المريدسية ، وكان ملكه يقع غرب هذه المقبرة .

خلف الشيخ عبد الله ستة من الذكور هم محمد وسليمان وحسين وصالح وعودة وحسن ، ومن البنات واحدة فقط .

(١) البسام : علماء نجد ، ج ٤ ، ص ٧٧ .

الشيخ محمد بن عبد الله الحسين

ولد في بلدة المريدسية غرب بريدة في عام ١٣١٠ هـ ، وقد ذكر بعضهم أنه ولد عام ١٣٠٨ هـ ، لكن القول الأول أصح كما يؤكد على ذلك ابنه الشيخ عبد الله . وبمجرد أن أدرك وجهه والده الشيخ عبد الله بن حسين - وهو أحد علماء العصر آنذاك - إلى التعليم ، فتعلم مبادئ القراءة والكتابة والحساب وقراءة القرآن ، ثم ما لبث أن حفظ القرآن عن ظهر قلب ، ثم أخذ بالقراءة على أبيه في الأصول والفروع والحديث والفرائض ، وقرأ على الشيخ عبد الله بن قدا ، كما درس النحو على الشيخ عيسى الملاحي ، وكان ذلك في المريدسية أيضاً ، حيث أن الشيخ عيسى أصله من حائل ، فعين قاضياً في الشبيكية ، وقدر الله سبحانه أن يتزوج امرأة من بلدة العريمضي أحد الخبواب الغربية ، فكان ينزل بعض الوقت في المريدسية القريبة منها نظراً لوجود قراء كثيرين فيها ، فكان يدرس في جامعها صباحاً حتى يشتد حر الشمس ، ثم يدرس بعد الظهر في مسجد آخر (مسجد الميزيد) ، فكان يجلس عليه عدد كبير من الطلبة منهم الشيخ محمد الذي كان يتابعه في كلا المسجدين .

انتقل الشيخ محمد إلى بريدة لمتابعة التحصيل العلمي سنة ١٣٤٠ هـ ، أي بعد ثلاث سنوات تقريباً من وفاة والده ، فأكمل دراسته على مشايخ بريدة في ذلك الزمان ، فقرأ على الشيخ عبد

العزیز بن بشر ، والشیخ عبد الله بن محمد بن سلیم ، والشیخ عمر بن محمد بن سلیم ، وكان من أهم الكتب التي قرأها على الشيخ عمر كتاب المقنع في الفقه حتى حفظه عن ظهر قلب . ولقد عرف عند مشائخه بالذكاء والنباهة وسرعة الفهم ، وقد نبغ في أصول الدين وفروعه . وفي تلك الأثناء أسس مسجد العجیة بريدة ، وبمجرد أن تم بناؤه سنة ١٣٤٣ هـ على نفقة عبد العزيز بن حمود المشیق أحد رجال بريدة المعروفين في زمانه^(١) - صار الشيخ محمد إماماً له ، وقد ظل في إمامته حوالي ثمانٍ وثلاثين سنة ، أي حتى وفاته .

عين الشيخ محمد قاضياً في بلدة نفي جنوب غربي القصيم في حدود سنة ١٣٤٥ هـ ، ولما صار أهل نفي إلى الأخوان ، وخرجوا معهم ، وحدثت معركة السبلة عام ١٣٤٧ هـ نقل الشيخ في العام نفسه قاضياً لبلدة الجعلة في الشمال الشرقي من القصيم ، واستمر في قضائها ثلاث عشرة سنة .

كان إقامة الشيخ محمد سواء في نفي أو الجعلة لا تتجاوز الشهرين من السنة ، وذلك في وقت الصيف ، حيث يوجد الأخوان فيهما ، ومن الأمور التي تحسب للشيخ محمد أنه بجانب قيامه بالقضاء فيهما كان يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتعليم

(١) العبودي : معجم القصيم ، جـ ٢ ، ص ٤٩٨ ؛ الرميان : تاريخ مساجد بريدة القديمة ، ص ١٨٧ .

والتدريس ، يروي ابنه الشيخ عبد الله أنه حين ذهب مع والده إلى
الجعللة سنة ١٣٤٩ هـ رأى بنفسه حلقة كبيرة من الطلبة يدرسون
على الشيخ ، وأنه قرأ معهم . ومن أعماله الطيبة معهم أنه احتسب
الأجر من الله تعالى في شراء مجموعة كبيرة من قرب الماء لهم ، وقد
كلفته الواحدة منها فرانسي واحد ، وهم - أعنى أهل الجعلة - كانوا
قد أكرموا منذ أن قدم عليهم إكراماً عجيباً ، فنظراً لعدم أخذ الشيخ
أهله معه في البداية أخذوا يذبحون له في الغداء والعشاء ، فلم يرضه
فعلهم ، وظل يحاول أن يثنيهم عنه ، ولكن دون جدوى ، الأمر
الذي جعله يضطر إلى اصطحاب أهله معه إلى الجعلة ليقطع عليهم
فعلهم هذا .

وحينما مرض قاضي عنيزة عبد الله بن مانع وأعفى من
القضاء استشار الملك عبد العزيز الشيخ عمر بن سليم فيمن يصلح
لهذا المنصب بعده ، فأشار عليه بالشيخ محمد ، فنقل من الجعلة ،
وعين قاضياً في عنيزة في شوال سنة ١٣٦٠ هـ^(١) . وجدير بالذكر أن
الملك عبد العزيز قبل ذلك كان يعرف الشيخ ، ففي سنة ١٣٥٨ هـ
التي كانت أول حجة للشيخ بالسيارات كان قد أمر بعلاجه حين
شكا ألماً في أسنانه ، يقول ابنه الشيخ عبد الله - وقد صحبه في تلك
الحجة - أننا في طريق العودة إلى الرياض ، وبالتحديد في المويه جاءنا
الخبر من الملك بالتأكيد على مواصلة علاج الشيخ .

(١) القاضي : روضة الناظرين ، ج ٢ ، ص ٢٩٠ .

على أي حال فقد تولى الشيخ القضاء في عنيزة ، فكان بجانب عمله بالقضاء - يتولى فيها إمامة الجامع الكبير ، كما يقوم بالتدريس والولاية على الأوقاف ، وكان من ضمن الأسبال التي وليها الشيخ حينذاك نخل في وادي الرمة ، يقال لها فيما يظهر (زبيدة) . ولقد كان الشيخ محبوباً عند عامة أهل البلد ، وكانت له مجالس خاصة مع بعض الأعيان وطلبة العلم فيها ، وكان من الذين يجلس معهم صالح المنصور أبا الخيل ، والشيخ عبد الرحمن الصالح البسام^(١) ، والشيخ عثمان الصالح القاضي ، وكانت تدور في تلك المجالس مناقشات علمية وتاريخية وغيرها . وقد استمر الشيخ عثمان القاضي حتى وفاته في علاقته الوثيقة بالشيخ محمد . وما يذكر هنا أن الشيخ محمداً خلال وجوده في عنيزة صاهر أحد أعيانها ، وهو صالح الجفالي ، إذ تزوج بنتاً له ، فولدت ولداً ذكراً ، ولكنه مات صغيراً^(٢) . أما عن سخائه مع أهالي عنيزة فيقول الشيخ عبد الله البسام^(٣) « كان جوداً كريماً ، فإنه انتقل من عنيزة مديناً مع كثرة ما قبضه من غلال على القضاء ، وعلى إمامة مسجد الجامع فيها » .

لم يمكث الشيخ محمد طويلاً في قضاء عنيزة ، فبعد مرور تسعة أشهر على ولايته قدم استقالته بعد خلاف مع أمير عنيزة وبعض

(١) البسام : علماء نجد ، ج ٦ ، ص ١٤٤ .

(٢) القاضي : روضة الناظرين ، ج ٢ ، ص ٢٩١ .

(٣) علماء نجد ، ج ٦ ، ص ١٤٤ - ١٤٥ .

أعيانها ، حيث اختلف معهم الشيخ في جملة من الأشياء ، فأرسل الملك عبد العزيز للتحقيق في الأمر لجنة من الرياض مكونة من الشيخ عبد الرحمن بن إسحاق بن عبد الرحمن آل الشيخ ورجل من الديوان الملكي يقال له ابن زيد ، ولاحظ اهتمام الملك عبد العزيز بقضيتهم ، وذلك بإرساله رجل من الديوان ، فاجتمعت اللجنة بالطرفين في بيت الأمير ليلة العاشر من شعبان سنة ١٣٦١ هـ ، يقول الشيخ عبد الله وقد حضر الحادثة أن مما دار في الجلسة قول بعضهم أن أحد الأهالي - وحددوا اسمه - سأل الشيخ سؤالاً ، فأخطأ الشيخ في الجواب رغم أن المسألة يعرفها صغار الطلبة ، وربما قصدوا التقليل من علمه ، لكن الشيخ سكت في البداية ، ثم اكتفى بالرد أنه لا يذكر شيئاً مما قيل ! ، ولم تسجل وقائع هذه الجلسة ، فكل ما دار فيها بين المتخاصمين كان كلاماً في الهواء انتهى بمجرد انتهاء المجلس . يقول محمد بن عثمان القاضي^(١) « فحضر الجميع في بيت الأمير ليلة عاشر شعبان عام إحدى وستين ، فأبدى كل ما عنده ، وحصل نزاع وكذب من البعض على الشيخ ، ولكنه لم ينتصر لنفسه ، لأنه يؤثر الراحة والعافية من منصبه . وبالفعل قالها في المجلس أمام اللجنة التي يرأسها عبد الرحمن بن إسحاق ، وقال : لقد تساوى الآن البقاء وعدمه ، ولكني أؤثر وأفضل العافية ، وأرفع استقالي أمامكم . فرفع ابن إسحاق استقالته ، وأوضح لمرجعه ما

(١) روضة الناظرين ، ج ٢ ، ص ٢٩٠ - ٢٩١ .

يراه حيال الموضوع ، فأعفي » . وكان ذلك في تاريخ ١٥ شعبان من ذلك العام . يقول الشيخ عبد الله أنه بعد يومين من ذلك الاجتماع خرج مع والده إلى سوق عنيزة ، فالتقى الشيخ محمد بالرجل الذي زعموا أنه سأل عن تلك المسألة ، فاستوضح منه ، فكذبهم فيما قالوه عنه ، ورد : أني لم أسألك مطلقاً ! .

عاد الشيخ محمد إلى بريدة ، فصار الشيخ عمر بن سليم إذا غاب في بعض الأحيان ينييه ، كما تعود أن يجعله رئيساً للجنة المكونة من قبله للتحقيق فيما يحصل من مشكلات في القصيم ، فكان الشيخ عمر يعتمد عليه كثيراً في مثل هذه الحالات ، وقد كان من ضمن تلك اللجنة إبراهيم البليهي وجار الله الغفيص ، وكانت أعمالها غالباً تتكامل بالنجاح .

لما مرض الشيخ عمر بن سليم جعل الشيخ محمداً وكيلاً عنه في القضاء في بريدة ، وقد استمر على ذلك حتى وفاة الشيخ عمر في يوم الاثنين ١٦ من ذي الحجة ١٣٦٢ هـ ، ثم ظل قاضياً غير رسمي لبريدة حتى جاء الأمر بتعيينه بهذا المنصب رسمياً في ١٨ من ربيع الثاني سنة ١٣٦٣ هـ^(١) ، وكان ذلك بإلحاح من جماعة أهل بريدة على الملك عبد العزيز ، حيث سافر رئيس أعيانها الوجيه فهد العلي الرشودي إلى الرياض ، وقابل الملك في الخسف خارج الرياض ،

(١) ابن عبيد : تذكرة أولى النهى ، ج ٤ ، ص ١٨٢ ، ج ٥ ، ص ٢٦٧ .

وعرض عليه تعيين الشيخ محمد قاضياً لبلدهم ، ووضح رغبته ورغبة الجماعة فيه ، فوافق الملك على ذلك ، وأصدر الأمر بتعيينه . وقد باشر عمله في القضاء ، ولدينا وثيقة كتبها بخط يده بصفته قاضي بريدة أثبت فيها حكمه في قضية عرضت عليه ، قال في بعضها ما نصه « بسم الله الرحمن الرحيم ، قد كان ثابتاً عندنا أن البيت الذي شمالي بريدة [ذكر صاحب البيت] ... أنه بيت زوجته بالهبة ... قد وهبه إياها بإقراره لنا ، وثبت عندنا بيع البيت ، قد باعته ... بألف وأربعمائة ريال بيعاً صحيحاً بشهادة عدول ، وقبضت خمسين ريالاً وقت البيع ، فصار البيع صحيحاً لازماً ... قال ذلك وأملاه مثبتاً له محمد بن عبد الله آل حسين قاضي بريدة ، حرر ٢٣ جمادى آخر سنة ١٣٦٣ » . ومن طريف ما يروى أثناء ولايته القضاء في بريدة ، وهو ما يدل على تواضعه ، وفي الوقت نفسه على بساطة قضاة ذلك العهد - أن بعض الأعراب اختلفوا فيما بينهم في جمل ، فجاءوا إلى أمير بريدة لحل الخلاف بينهم ، فأرسلهم الأمير إليه ، فلما وصلوا إلى منزله لم يجدوه ، فسألوا عنه ف قيل لهم إنه ذهب يسقي بقرة له ، فكان هؤلاء الأعراب خف وزن الشيخ عندهم بعد الذي سمعوا ، ولكن لما رجع إلى بيته ، وعرضوا قضيتهم عليه ، وقضى بها برد الحق إلى صاحبه ، والأمر بتأديب المدعي - اعجبوا بالشيخ ، وراحوا يشنون عليه .

أمضى الشيخ محمد في منصبه هذا أقل من خمسة أشهر ، حيث أعفي من القضاء في شعبان أو رمضان من تلك السنة^(١) ، وذلك على إثر فصله في قضية أخلاقية اشترك فيها اثنان ، فنفذ الحكم في واحد فقط ، فحصل أخذ ورد بين الشيخ وغيره ، وغالب الظن أن أمير بريدة آنذاك كتب إلى الرياض يطلب إعفائه ، فجاء إعفاؤه من القضاء بعد أيام . ويذكر أن الشيخ أبلغ بقرار إعفائه بعد صلاة العشاء الآخر ، فقال لحامل الخطاب كلاماً منه قوله « ... لن أنام أريح من هذه الليلة ، لأنني تخلصت من حقوق العباد » . ومما يذكر أن ذلك الأمير اعتذر بعد ذلك للشيخ ، ووسط ناساً منهم الوجيه فهد بن علي الرشودي ، ثم جاءه آخرون للغرض نفسه وهو في المسجد الحرام ، فلم يلب طلبهم على الفور ، وبعد ستة أشهر كتب كتاباً يسأحه فيه ، ولما سئل عن عدم تلييته طلب من جاءوه قال : « أريد أن يكون ذلك لله تعالى » . يقول الأستاذ صالح بن سليمان العمري^(٢) في ترجمته للشيخ محمد بعد ذكر تعيينه في قضاء بريدة « ولكن لاستقامة الرجل وصراحته وتمسكه بتنفيذ الأحكام الشرعية ، وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر دون مجاملة ، أوجد له بعض المشاكل مع كبار المسؤولين وغيرهم ، فأعفي من القضاء بعد فترة قصيرة » .

(١) ابن عبيد : تذكرة أولى النهى ، ج ٤ ، ص ١٨٥ ، ج ٥ ، ص ٢٦٧ .

(٢) علماء آل سليم وتلامذتهم وعلماء القصيم ، ج ٢ ، ص ٤٧٣ .

احتفظ الشيخ محمد بخطاب الإعفاء الموقع من الملك عبد العزيز ، ولما تولى الملك سعود الحكم بعد والده طلب منه أن يلي القضاء في المذنب ، فاعتذر الشيخ محمد منه ، مبرزاً خطاب والده الملك عبد العزيز . وجدير بالإشارة هنا أن خلفه في قضاء بريدة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد كتب إليه يستوضح منه عن بعض الموارد الخاصة بأسرته أبا الخيل فخاطبه بقوله بعد التسمية « الأخ المكرم الشيخ محمد بن عبد الله بن حسين سلمه الله ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... الخ » ، وكان تاريخها في ٢٢ / ٣ / ١٣٧٠ هـ .

تفرغ الشيخ محمد بعد ذلك للعلم فضلاً عن شؤونه الخاصة . ففي السنة نفسها التي أعفي من القضاء في بريدة ، أي سنة ١٣٦٣ هـ شرع بالتأليف في الفقه ، فبدأ أولاً بوضع تعليقات على « زاد المستقنع » للحجاوي ، وفي أثناء ذلك بدت له فكرة أن يضع كتاباً يشرح فيه « الزاد » معتمداً في شرحه هذا بالدرجة الأولى على الكتاب الثاني للحجاوي نفسه الموسوم بـ « الإقناع لطالب الانتفاع » مع الاستفادة من كتب الفقه الأخرى المطولة ، وكان هدفه أن يكون مؤلفه أوسع من « الزاد » وأقل حجماً من « الإقناع » ، فجاء الكتاب - كما يقول الشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن المسند - « تعليقات على متن الزاد ، وزوائد الزاد ، وتعليقات على الزوائد ، أي ثلاثة كتب بالإضافة لمتن الزاد » . وقد انتهى من حاشية الزاد في

جمادى الآخر سنة ١٣٧٢ هـ ، ومن حاشية الزوائد يوم الاثنين ١٤
رمضان سنة ١٣٧٣ هـ ، ثم استمر بعد ذلك في تنقيحه وتدقيقه ، ثم
أعاد نسخه مرة أخرى حسب مواصفات معينة ليكون جاهزاً للطبع ،
ولم ينته منه إلا في سنة ١٣٨٠ هـ ، وبهذا يكون استغرق منه تأليف
هذا الكتاب والعمل به ما يقارب عشرين عاماً . أما أهم ما تميز به
الكتاب فقد أشار إليه الشيخ محمد في المقدمة فقال « وذكرت فيه من
الأدلة والروايات وما تيسر عندي من مذاهب الأئمة والعلماء ، ولم
أصل إلى أن يكون لي اختيار ولا ترجيح ، ولكن ما قدمت من
المؤخر على المقدم ، أو على المذهب فهو الراجح عندي » ، ثم ذكر
بعد ذلك عنوان كتابه بقوله « وقد سميته (زوائد الزاد) زاد الله به
نفعاً كما نفع بالزاد » . وقد طبع بعنوان « الزوائد في فقه إمام السنة
أحمد بن حنبل الشيباني » .. وقد أشاد به محب الدين الخطيب فقال
بعد أن ذكر امتياز فقه الإمام أحمد بقربه من القرآن والسنة وأقوال
الصحابة - قال « وهذا الكتاب حافل بإبراز هذه الميزة الجليلة للفقه
الحنبلي في أكثر ما ورد فيه من أحكام الشريعة : عباداتها ومعاملاتها
وآدابها ، لأن مؤلفه العلامة التقي الورع الشيخ محمد بن عبد الله آل
حسين رحمه الله كان حريصاً على أن يذكر الحكم مقروناً بدليله من
هذه ينباع الصافية ... ولذلك سيجد فيه كل مشتغل بالفقه
الإسلامي - مهما كان مذهبه - فوائد قلما يجد مثلها في كتب المذاهب
الأخرى » . وما يجدر ذكره أن كثيرين عرضوا طبع هذا الكتاب على

نفقتهم إلا أن الشيخ محمد لم يقبل مصمماً أن يطبعه من ماله الخاص ، فقد كان يجمع نفقة طبعه من سنوات ، وقد دفعها كلها قبل موته ، وأمر أن يكون كتابه لوجه الله ، بحيث يوزع على طلبة العلم ، وقد بديء بطباعته قبل موته بشهر ، وقد جاء في مجلدين كبيرين . وبجانب اشتغاله بتأليف هذا الكتاب كان يقوم بالتدريس ، وبخاصة في مسجده الذي يقوم بإمامته ، فقرأ عليه جمع من الطلبة الإللفية في النحو ، منهم عبد العزيز الفرج ، والشيخ صالح بن أحمد الخريصي رئيس محاكم القصيم ، وأخوه الأكبر عبد الرحمن ، وعقلاء ، والقصير وغيرهم ، وكانوا يقرأون عليه بعد المغرب ، وكان عبد العزيز الفرج يقرأ عليه بعد أذان العشاء من تفسير ابن كثير ، فكان الشيخ محمد يشرح قراءته ويعلق عليها . وبالإضافة إلى هؤلاء فإن هناك آخرون درسوا على يدي الشيخ ولازموه ، فكان من أخصهم : الشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن المسند العالم الأديب المعروف الذي تولى مناصب عديدة ، والشيخ القاضي إبراهيم بن محمد العمود الذي تولى القضاء بالدمام .

وبخلاف بروزه في علوم الشريعة والنحو فقد كان له شيء من العناية بالأدب والتاريخ ، ففي أوراق خاصة بقيت بعده سجل بخطه أبياتاً من شعر الزهد والحكم ، منها :

كن ما استطعت عن الأنام بمعزل * * إن الكثير من الوري لا يصحب
واحذر مصاحبة اللئيم فإنه * * يعدي كما يعدي الصحيح الأجرب

واحذر من المظلوم سهماً صائباً * * واعلم بأن دعاءه لا يحجب
وإذا رايت الرزق عز ببلدة * * وخشيت فيها أن يضيق المذهب
فارحل فأرض الله واسعة الفضا * * طولاً وعرضاً شرقها والمغرب
فلقد نصحتك إن قبلت نصيحتي * * فالنصح أغلى ما يباع ويوهب •

كما سجل بخطه أيضاً في أوراق أخرى شيئاً من التاريخ
المعاصر الذي يحفظه ، نوردها للفائدة ، كتب الشيخ محمد يقول
« الحمد لله وحده ، تاريخ الوقائع والحوادث التي أدركها . أولها :
وقعة المليدا سنة ١٣٠٨ ثمان وثلاث مائة بعد الألف في جمادى
آخر . وتوفي الشيخ محمد بن عمر أيام وقعة الطرفية الأولى في ذي
القعدة سنة ١٣١٨ . سطوة عبد العزيز بن سعود على عنيزة مبتدأ
سنة ١٣٢٢ ، وكانت وقعة البكيرية التي قتلت فيها العسكر التركية
بعدها بنحو من ثلاثة أشهر . وقدوم العسكر مع المشير في صفر سنة
١٣٢٣ ، وتوفي الشيخ عبد الله بن دخيل قبلها بأيام . وقعة الطرفية
الثانية بين ابن سعود وأهل القصيم معهم ابن رشيد في شعبان سنة
١٣٢٥ ، وتوفي الشيخ محمد بن عبد الله آل سليم قبل الوقعة بنحو
من تسعة أشهر » . وبانتهاء ما ورد في هذه الورقة بخط الشيخ نقول
علاوة على كونها تدل على عناية بالتاريخ فإنها من الجائز تكون
بداية لكتيب تاريخي ، أو على أقل تقدير بداية لمذكرة تاريخية موجزة
كان يزعم إكمالها إلى السنوات الأخيرة من حياته ، ولكن لم يتهياً له
ذلك .

أما عن شؤونه الخاصة فقد صار يتنقل بين بريدة والمريديسية غرب بريدة والربيعية شرق بريدة للقيام على أملاكه والإشراف على أملاك بعض أقاربه ، وقد لوحظ كثرة ترداده على الربيعية بالذات ، إذ كان وكيلاً على أسبال ابن عمه إبراهيم بن مهنا الصالح وأولاده . ثم إنه عمد إلى فلاحه أحد مزارع أبناء عمه المهنا ، وتزوج هناك من أسرة البازعي ، وكان إذا جاء إلى الربيعية سكن في منزل له في حي واسط ، وكان الناس يستفيدون منه في الفتوى ، وحل المنازعات ، وفض الخصومات ، وكان يقوم بالتدريس في مسجد السندي (الجامع الشمالي) وممن درسوا عليه : عبد الكريم بن عبد الله العقل ، وإبراهيم بن جاسر الجاسر ، وإبراهيم بن عبد الرحمن البطي ، وعبد الله بن سالم الضبيب وغيرهم^(١) . ونظراً لارتياحه في الربيعية فقد راودته الرغبة في السكنى بها سكناً دائماً ، ولكن لم يتيسر له تحقيق تلك الرغبة . ومما يحسن ذكره هنا أن تلميذه عبد العزيز الفرّج كان هو الذي يخلفه على إمامة مسجده في العجبية أثناء غيابه ، سواء أيام تنقله إلى الربيعية وغيرها في الفترة الأخيرة من حياته ، أو أيام ولايته قبل ذلك القضاء في الجعلة وغيرها .

(١) راجع عبد العزيز بن راشد السندي : الربيعية ، ص ١٤٨ .

وبالنسبة لصفة الشيخ فقد كان طويلاً ، ضخم الأعضاء ، قمحي اللون ، متوسط الشعر . أما أخلاقه فقد كان سمح الخلق ، لين العريكة ، طلق الوجه ، متواضعاً متعففاً ، واسع البال ، لا يعرف الغضب إليه طريقاً ، لا يميل مجلسه وحديثه ، محبوباً لكل من يعرفه . وكان يتفقد أقاربه وجيرانه ، ويتعهد الفقراء والمساكين حسب استطاعته . وكان مستقيماً في دينه وخلقه ، صريحاً في الحق لا يخشى فيه لومة لائم . وكان يحج كل عام ، ويعتمر في رمضان ، قواماً في الليل^(١) ، حتى قيل أنه يقسم الليل ثلاثة أقسام : الثلث الأول للاطلاع والتأليف ، والثلث الثاني للراحة والنوم ، والثلث الثالث للعبادة^(٢) ، كما كان مكثراً لتلاوة القرآن ، يصوم الست من شوال ، وعشر ذي الحجة ، وعاشوراء ، ولا صحة لقول من قال عنه أنه يرى كراهية صيام الست من شوال . أما صيام غيرها من النفل فقليل ، ربما لأنه يرى أن قراءة القرآن أفضل له لاسيما وأن الصيام كان يشق عليه كثيراً ، فهو - في طبعه - من الذين يعانون من شدة العطش إذا صاموا .

مرض الشيخ محمد في آخر حياته ، فكان يحس بحرارة في جسمه عامة ، وكان يقول أنني أحس بحرارة بين الجلد واللحم ، وكانت

(١) راجع : عبد العزيز المسند في تقديمه لكتاب الزوائد ؛ القاضي : روضة الناظرين ، ج ٢

، ص ٢٩٢ ؛ البسام : علماء نجد ، ج ٦ ، ص ١٤٥ .

(٢) عبد العزيز بن راشد السنيدي : الربيعية ، ص ١٤٨ .

تشتد عليه إلى درجة أن يغمى عليه ، كما صار يعاني من السعال الشديد ، وقد دخل المستشفى عدة مرات ، أولها بقي فيها خمسين يوماً ، ثم تكرر دخوله المستشفى . يقول ابنه الشيخ عبد الله : أما من ناحيته فكان لا يحب أن يدخل للمستشفى ، ولكن إذا أغمي عليه أخذناه إليها ، فإذا أفاق ووجد نفسه فيها لم يعارض ، وفي آخر مرة جاءته هذه الحالة أوصى بعدم نقله إلى المستشفى ، وقد انتقل إلى جوار ربه حوالي الساعة الرابعة بالتوقيت الغروبي (العاشرة زوالي) من ليلة الجمعة ١٣ من شعبان سنة ١٣٨١ هـ . وقد صلي عليه وقت الضحى من يوم الجمعة في جامع بريدة الكبير ، وقد امتلأ الجامع بالمصلين عليه ، ولم ينتظر به صلاة الجمعة ، وقد كان من رأي الشيخ صالح بن إبراهيم البليهي الانتظار به للصلاة عليه بعد صلاة الجمعة . وقد دفن في مقبرة فلاجة الشرقية جنوبي بريدة ، وقبره في الوسط من جنوبها .

عقب الشيخ محمد ابنأ واحداً هو الشيخ عبد الله الذي خلفه في إمامة مسجد العجيبة في بريدة ، ولا يزال حتى الآن يشغل هذه الوظيفة . كما عقب أربعاً من البنات .

إبراهيم الصالح الحسين

هو إبراهيم بن صالح بن عبد الرحمن بن حسين بن صالح الحسين أبا الخليل . لا يخرج مولده - فيما يبدو - عن سنتي ١٣٤٤ هـ و ١٣٤٥ هـ ، ذاك أنه - كما روي لي - ذهب إلى الحج آخر سنة ١٣٥٨ هـ ، ويقول إنه ذهب مرافقاً مع الحجاج ، وأنه أدى الحج في تلك السنة وهو على مشارف البلوغ ، فهو غير متأكد أنه بلغ أو لم يبلغ ، فإذا كان عمره حينها أربع عشرة سنة ، أو خمس عشرة سنة كانت ولادته سنة ١٣٤٤ هـ أو ١٣٤٥ هـ .

توفيت أمه وهو صغير ، فعاش بين أخواله وزوجة والده ، وتعلم القراءة والكتابة على يد محمد بن الصالح الوهبي الذي كان قد قدم من الكويت ، وفتح مدرسة في الصباح بجوار جامع الصباح الذي لم يكن آنذاك جامعاً ، وذلك من جهته الغربية الجنوبية ، وقد استفاد من الوهبي فائدة عظيمة ، إذ كان الوهبي يستخدم في التدريس طريقة علمية مبتكرة في تثبيت الحروف الهجائية في أذهان التلاميذ ، وذلك من حيث النطق والإملاء والإعراب ، وهي طريقة - كما يظهر - لم تكن معهود في نجد . كما استفاد منه في قراءة القرآن قراءة صحيحة متقنة ، وقد تيسر له بعد ذلك حفظ القرآن ، فكان إذا قرأ القرآن لا يلحن مطلقاً ، وكان لا يطيق أن يسمع قارئاً صغيراً أم كبيراً يلحن في قراءة القرآن .

لما انتقل أستاذه الوهبي من الصباح إلى بريدة ، وفتح مدرسته شمال مسجد الحميدي لم يتابع الدراسة عليه كما فعل بعض أقرانه ، ولكنه ما لبث أن ذهب إلى حلقة الشيخ صالح بن أحمد الخريصي الذي كان يدرس في جامع بريدة ، فأخذ يقرأ عليه ، وقد لفت نظر الشيخ صالح سرعة حفظه ، وقوة ذاكرته ، بيد أنه لم يستمر طويلاً في الدراسة نظراً لحاجة والده إليه في العمل معه في الزراعة . ثم توفي والده في ذي القعدة سنة ١٣٦٦ هـ ، فكان عمره في حدود العشرين . فانشغل برعاية أخوته والقيام على أمورهم .

وحين عين الشيخ عبد العزيز بن عثمان المضيان أول خطيب لمسجد الصباح بعد تحويله إلى جامع تابع إبراهيم الدراسة عليه ، كما استفاد من قراءاته وحديثه اليومي بعد صلاة العصر وقبل صلاة العشاء على عادة أئمة المساجد حينذاك ، إذ كان ابن مضيان كثيراً ما يشرح ما يقرأ ، وبخاصة حديث ما قبل العشاء الذي يستغرق وقتاً يتجاوز نصف ساعة ، وقد ذكر أنه حفظ من خلال استماعه لابن مضيان كثيراً من الأحاديث النبوية والتفسير والحكم والأمثال والشعر والقصص .

وبجانب ذلك فقد استفاد من الدروس العامة لسماحة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد التي كان يعقدها في سوق بريدة بجوار المكتبة العلمية أيام كان قاضياً للقصيم ، كما استفاد من خطبه التي

كان يلقيها في الجامع الكبير ، وقد كان معجباً بالشيخ عبد الله أياً إعجاب ، فطالما استشهد بأقواله ، وقص شيئاً من أحوال الشيخ عند فصله في الخصومات والقضايا التي أتيح له حضورها .

وبعد أن تجاوز الأربعين من عمره التحق بالدراسة النظامية في القسم الليلي في مدرسة فيحان بالصباح . وفي سنة ١٣٨٩ هـ اختاره الشيخ صالح الخريصي رئيس محاكم القصيم ضمن أعضاء هيئة النظر في المحكمة ، فعمل فيها وقتاً قصيراً ، ثم طلب الإعفاء منها ، وبعدها في السنة نفسها اختير في لجنة توزيع الأراضي الزراعية البور في مديرية الزراعة بالقصيم ، وأثناء عمله في هذه اللجنة صار لمدة سنوات كثيراً ما يرافق مدير الزراعة الأستاذ عبد المحسن بن حمد التويجري في جولاته التفقدية في أرجاء القصيم . وفي سنة ١٣٩٦ هـ عينه الأمير فهد بن محمد بن عبد الرحمن آل سعود أميراً لضاحية الصباح بعد ترشيح واسع من جماعته أهل الصباح ، قد استمر في هذا المنصب حتى وفاته ، وخلال عمله هذا كلف من قبل إمارة القصيم بلجنة التعديلات الخاصة بالأراضي لعدة سنوات حتى طلب الإعفاء منها ، وقد تمكن من حل مشاكل عويصة في هذا الشأن ظلت معلقة منذ سنين .

عرف عنه حبه مساعدة جماعته أهل الصباح وخدمته لهم قبل أن يعين أميراً عليهم ، ففي سنة ١٣٩٢ هـ مثلاً طالب ومعه الأستاذ عبد المحسن التويجري تمديد كهرباء بريدة إلى ضاحية الصباح ، حيث

كتب خطاباً إلى مدير الشركة آنذاك الشيخ إبراهيم الراشد الحميد ،
فرد عليهما بالموافقة في تاريخ ٧ / ٤ / ١٣٩٢ هـ ، ثم ما لبث
الكهرباء أن مد إلى الصباح في ذلك العام ، كما كان يقوم أيضاً
بمخرص ثمار النخيل لجماعته وتقسيمها بدون مقابل ، وقد اشتهر
بدقة المخرص والقسمة . أما خدمته لأسرته أبا الخيل سواء منهم
الذين في القصيم أو الرياض أو الكويت فهي أشهر من أن تذكر ،
فقد كان لا يتردد في أي طلب يطلبونه منه ، وبجانب ذلك كان
ذاكرتهم التاريخية ومرجعهم في الأنساب .

ومن ناحية أخرى فقد تعود أن يكون باب بيته مفتوحاً ، وتراه
يغضب أشد الغضب إذا أغلق ، وكان مجلسه لا يمل ولو طال ،
وكانت لديه قدرة عجيبة على إمتاع مستمعيه على مختلف
مستوياتهم ، فيتحدث إلى كل فئة بما يفيدهم ويروح عنهم ويسليهم ،
وكان يختار لهم ما يوافق المقام ، ويناسب الحال ، وكانت طريقته
وأسلوبه في الحديث تستوقف المستمع ، وتشد انتباهه ، وقد ساعده
في ذلك ما يحفظه من قرآن وأحاديث وحكم وأمثال وتاريخ وشعر .
على أن الذي تميز به أكثر من غيره ضبطه لحوادث التاريخ المحلي
الحديث ، وحفظه للشعر النبطي لكبار الشعراء الذين عايشوا تلك
الحوادث ، فكان يحفظ شعر العوني والصغير وعلي الحميدة وعبد
الكريم الأصقه وابن مناور وعبد الله الوني والقاضي وغيرهم كثير ،
فكان يحفظ القصائد النبطية مهما طالت ، مثل حفظه لقصيدة العوني

المشهورة بالمستحطة التي تقع في أربعمئة بيت . ومن الملفت أن ضبطه وحفظه لتلك الحوادث والأشعار كان أكثره عن طريق الرواية الشفوية من معاصرين أو مشاركين في الأحداث ، فكان أحياناً يحفظ القصيدة أو القصة التي تعجبه عند سماعه لها مرة واحدة ، ولعل من أواخر ما حفظه على هذا المنوال قصيدة أعجبتة للشاعر مرشد البذالي سمعها من لسان قائلها في المذيع في رثاء محمد بن أحمد السديري .

كان يقصد مجلسه كثير من الرجال يتجاذبون معه الحديث ، نذكر منهم الشاعر محمد بن عبد الله الفوزان الذي كان إبراهيم يحفظ كثيراً من شعره ، وبخاصة النبطي منه ، وكان من الطريف أن ابن فوزان هذا يطلب منه في بعض الأحيان أن يسمعه حفظاً ما قاله من شعره الذي ربما غاب عن ذهنه . وقد جادت قريحة هذا الشاعر بقصيدة نبطية قالها في صاحبه في ١٣ / ٢ / ١٤٠٣ هـ ، هي :

لا ضاق صدري من تراكم الهموم

وانسد قدام النظر كل معبار

نصيت من عنده طري العلوم

وأمثال شيخان القبائل والأشعار

أمير فيحان الحصان العزوم

حِطّه على يمينك لا صرت مختار

سوالفه تيري غميق الكلوم

ينسى بها المهموم همّه والأكدار

يدري إبعادات العرب والسلوم

حرّ عريب الخال من نسل الأحرار

صديق عينك لا بدا لك لزوم

لو بارت الخلان بالخل ما بار

حزب هميم لا نخيته يقوم

قومة إرجال ما بها لفّ واعذار

عسى إفداً له كل دحش غشوم

بذي اللسان إمزعزع العقل هذار

عن مثل هذا الجنس حنا نشوم

لا يطّلع منا على بعض الأسرار

وقال عنه الأستاذ إبراهيم بن حمد الرشيد في جريدة الرياض

(الخميس ٢٤ / ٧ / ١٤١٧ هـ) في تأيينه بعد وفاته « وكنت بجرأ

من العلم التاريخي والشعر والأنساب ، لا أمل مجلسك » .

ولقد استفاد منه كثيرون وبخاصة في التاريخ المحلي والشعر
النبطي المصاحب له ، فكتبوا منه ، نذكر منهم الشيخ سليمان بن
عبد الله الرواف ، والشيخ منديل بن محمد الفهيد ، والأستاذ إبراهيم
المعارك ، والأستاذ إبراهيم المسلم ، والأستاذ سليمان النقيدان ،
والأستاذ عبد الله بن زيد الطويان ، والأستاذ الدكتور محمد بن عبد
الله السلطان ، والدكتور سعد الصويان ، والأستاذ عبد الرحمن
العقيل ، والشاعر حباب الرشيد وغيرهم كثير .

انتقل إلى رحمة الله تعالى بعد مرض أقعده حوالي أسبوعين ،
وكان ذلك في حدود الساعة العاشرة من ليلة الخميس السابع عشر
من رجب سنة ١٤١٧ هـ ، وقد صُلي عليه يوم الخميس بعد صلاة
العصر في جامع الخليج بريدة ، ودفن في مقبرة الموطأ . وفي الأخير
نورد القصيدة التي رثاه فيها محبه الشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن
اليحيى ، يقول فيها :

فجعت والأمر محتوم ومكتب

الله في نائبات الدهر نحتسب

نبكي صديقاً عزيزاً ضمه جدث

عليه نار الأسى في قلب نلتهب

نبكي أديباً أريباً حاذقاً فطناً

نديم مجلسه قد زانه الأدب
إذا أتيت رأيت البشر يصحبه
وإن تخاطبه يبدو المنطق العذب
يعطيك ما شئت من شعر ومن حكم
حتى تصور أن الناطق الكتب
نشا شغوفاً بروض العلم تسعفه
للحفظ ذاكرة في حفظها العجب
عند الوهبي من كانت له همم
نعم المؤدب في تعليمه الأدب
كذا الخريصي من طابت مجالسه
كم قد جثت عندها الأكتاف والركب
ولازم الشهم شيخاً فاضلاً علماً
هو المضيان من تسمو به الرتب
أئمة الحق والتوحيد ديدنهم
مشاعل للهدى أعلامنا النجب
فحفظه لكتاب الله مفخرة

أكرم بها رفعة ترجى بها القرب
فالموت مورد صدق سوف يشربه
وإن تبأين في أنظارنا السبب
كل سيفنى وإن طال الزمان به
وكل صاح له من بعد ذا عطب
هذا مصير بني الدنيا وإن سلموا
إذا تيقنت هذا ييطل العجب
يفنى الجميع ويبقى الله خالقنا
لا يعتره تعالى النقص والنوب
أين الأحبة والأحباب بعد هموا
امرر عليهم غدت من فوقهم ترب
قد فارقوا الدار والأعمال تقدمهم
يا قلب ماذا ترجى بعد ما ذهبوا
جزاه ربي عن الأعمال مغفرة
بجنة قد علت ملبوسها الذهب
لسابع العشر من بعد المئين مضت

لأربع بعد ألف شهرها رجب

بسابع العشر من يوم الخميس جرى

حرر لفقدانه والأمر يحسب

ثم الصلاة على المختار من مضر

نبينا المجتبي مالمغيث ينسكب

وآله والصحاب التابعين له

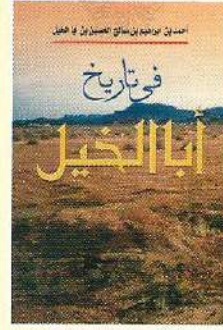
والتابعين له ما امتدت الحقب

وجدير بالذكر أن لإبراهيم شقيقاً أكبر منه واسمه حسين ، طبقت شهرته الأفاق في الحساب الفلكي ، فكان فيما مضى يخبر بهلال رمضان ثم هلال شوال من السنة التالية بعد أن يتعبد الناس عيد الفطر مباشرة ، وقل أن يخطيء ، فكان الناس يسجلون ما حدده حتى العام التالي ، فيأتي الهلال حسبما قال رغم أن لا يعتمد على الرؤية ، ولا ينظر في منازل القمر ، إذ كان نظره ضعيفاً جداً . فضلاً عن كونه لا يستخدم الكتابة في حسابه ، بل يعتمد فقط على الحساب الذهني المجرد ، ثم بعد ذلك يبقى حافظاً ما توصل إليه من حساب ، وقد عرف بسرعة حل العمليات الحسابية البسطة من طرح وجمع وضرب وقسمة . ويجانب ذلك كان مرجعاً في تحديد مواسم الزراعة ، واذكر أن صاحب السمو الملكي الأمير متعب بن عبد

العزیز استدعاه لمزرعته فی بريدة ، وسأله عن بعض الأمور الفلكية .
وكان معروفاً بالزهد فی الدنيا ، حیاته قضاها بین المسجد والبيت
والمزرعة ، وكان وقته معموراً بالذكر وقراءة القرآن ، فکنت إذا
اقتربت منه سمعته يتلو القرآن قاعداً وقائماً وماشياً . وقد توفي رحمه
الله قبیل صلاة الجمعة السادس عشر من جمادى الأولى سنة ١٤٢٠
هـ ، وصلي عليه بعد المغرب من ذلك اليوم فی جامع الخلیج ، ودفن
فی مقبرة الموطأ .

المحتويات

٣	مقدمة
٦	أبالخيل (الأصل والتسمية)
١٠	أبالخيل بالقصيم
١٤	صالح الحسين أبالخيل
٢٤	حسين وعبد الله ومحمد أبناء صالح الحسين
٢٨	مهنا الصالح
٤٥	حسن المهنا
٦٥	صالح الحسن
٩٢	الشيخ عبد الله بن حسين الصالح
٩٩	الشيخ محمد الحسين
١١٥	إبراهيم الصالح الحسين



■ في هذا الكتاب

ومن الغد رأي الابن الأكبر محمد أن
يذهب إلى قصرهم ومزرعتهم ليرى
حالتها بعد رحيلهم عنها، وفي الصباح
وقف عند الزرع فإذا بخيل حرب قد
سرحت عليه، فخاف منهم واختفى
بالزرع، حيث توقع أنهم علموا بقتل
إخوانهم، وبينما هو كذلك إذ اقتربت
فرس منه، وصارت تأكل من الزرع الذي
فوق رأسه، فقفز عليها وركبها وسار بها
مسرعا إلى عنيزة، فلحقت به بنتين
لها، إحداهما دون العساف والأخرى
صغيرة ذات ثلاثة أو أربعة أشهر، ثم
لحق بها الباقي، ودخل عنيزة ومعه
هذه الخيل، فلقبه أهلها بـ"أبا الخيل".
إذن فمحمد بن حمد بن نجيد بن
يعيش هو أبو الخيل.

أبا الخيل